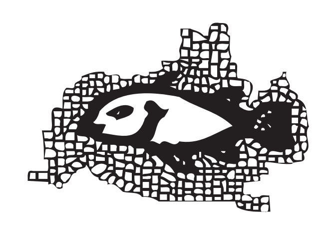
سلسلة إكثوس الآبائية

سيكولوجية الاعتراف



القمص

أثناسيوس فهمي جورج





سيكولوجية الاعتراف

تأليف

نيقولاس ڤ. جامفاس

Fr. Nicholas V. Gamvas

ترجمة

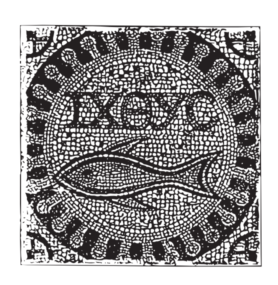
أ. د. شريف جيد

D. Sherif Gayed

إعداد القمص

أثناسيوس فهمى جورج

وكيل إيبارشية أيرلندا وشمال شرق إنجلترا



اسم الكتاب : سيكولوچية الاعتراف.

تأليف : نيقولاس ف. جامڤاس **Nicholas V.Gamvas**

ترجمة : أ.د. شريف جيد.

الطبعة : الثانية ٢٠١٥

تاريخ النشر : ١٨/٧/٢٠١٥

تجهيز فنى وتنفيذ : الرواد-ت : ٤٨٤٤٦٢٣ (٠٣)

رقم الإيداع : ١٠٣٨٢

قداسة البابا المعظم

الأنبا تواضروس الثانى

بابا المدينة العظمى الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٨



للتواصل مع
القمص أثناسيوس فهمي چورچ

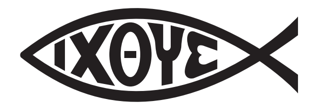
تليفون : ٠١٢٨٢٨٩٣٧٤٥

Frathanasius.george@gmail.com

Fb.: frathanasius.george
(Athanasius Gawargayous)

Facebook group
محبي القمص أثناسيوس فهمي چورچ

http://ixoyc.net



مقدمة الطبعة الثانية

– الحياة الأرثوذكسية ليست مجرد نظريات وأفكار، لكنها حياة خبرة واقتداء وعشرة وتلمذة وشفاء واستنارة ثم تمجيد ومعاينة شركة الثالوث القدوس، لذلك يرتبط الخلاص بالشفاء الحقيقى لـ «نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا» (فما لا يُؤخذ لا يمكن أن يُشفى). ومسيحنا هو دواؤنا ومنقذنا وشافينا الوحيد. الذى يقبلنا ويعيننا لنرضيه، متشبهين به بالنعمة نائلين مواهب روح قدسه الشافية والمحيية فى الكنيسة خزانة الحق **ἀποθήκη τῆσ θειὰσάλη**

– يأتى سر التوبة والاعتراف ضمن أدوية مستشفى كنيستنا القبطية، فننال بالسر تقديساً ونمواً، نتقبل به بركات الخلاص ، عندما نمارسه بوعى لا كروتين بل كقوة مُغيرة بفعل الروح القدس، لتغيير الذهن والسلوك والحياة. فى جهاد مسنود بالنعمة لتجديد الحياة المكتنزة بالمعانى الخلاصية المعاشة.

– فكلما تم بناء النفس سليماً وقوياً *healthy and heavily built* كلما كان البناء سوياً وذا أصول صحيحة. يصقله الاعتراف كخبرة روحية وفعل **"act"** سرائرى. فى ممارسة نتقابل بها باطنيًا مع أنفسنا ومع مسيحنا بصراخ نحو الأفضل، حتى لا نعود من النفس الناقصة للنفس الناقصة، بل نرتقى من العدمية وطين حمأة الخطية إلى اشتياق التجديد بلا رجعة للوراء.

– حيث مسيحنا حاضر فى السر، وإن كان غير منظور إلا أنه هو الذى يتقبل اعترافنا ويحلنا من الرباطات .

١ – فلا نخاف ولا نكتم أمرًا يحول دون نجاتنا وشفائنا الخلاصى الثمين.

٢ – ونحول أفكارنا بهدم لمح الفكر.

٣ – فى ضبط ويقظة الارتقاء الروحى.

٤ – بثمار توبة القلب الخفى.

٥ – واقتناء أسلحة الروح.

٦ – للاتحاد الأمين بالمسيح مؤدبنا ومكمل قانوننا الروحى وغايته نحو حياة أفضل فى الكثرة والفيض والسمو **περισσόν** على طريق التوبة والاعتراف والتقدم إلى تناول الافخارستيا **εὐχαριστὴσασ**

– ليت الله ينهضنا لنتوب معترفين بذنوبنا، واضعين أنفسنا عنده، فهو رسول اعترافنا، الغافر آثامنا ومنقذنا من الفساد، له المجد على كل شئ فى كنيسته الان وكل أوان وإلى دهر الدهرين أمين.

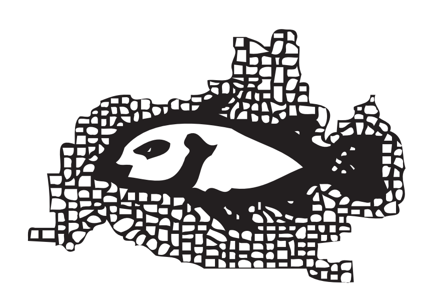
القمص

أثناسيوس فهمى جورج

آاوكيل إيبارشية أيرلندا وشمال شرق إنجلترا

٢٠١٥/٧/١٨

١٧٣١ ش



مقدمة الطبعة الأولى

تتناول هذه الدراسة مجموعة من المفاهيم حول «سر الاعتراف»، وهى فى جملتها دراسة ذات طابع نسكى سرائرى آبائى وعلمى، للبلوغ إلى نـوال بركة الـسـر... وترتيب طقسه **Ἀκολουθία καί ταξισἐπὶ ἐξομολογουμένών**

هناك رغبات كثيرة معاصرة فى صدور دراسات تجمع بين تاريخ الروحانية وعلم النفس، وهناك أيضًا تمنى أن نستعمل العلوم النفسية المعاصرة كما استعمل أباؤنا القديسون علم النفس المعاصر لزمانهم.

فإذا كانت المادة غير مطروقة وناشئة، إلا أنه فى ضوء اللاهوت والكتابات الأبائية يحتاج الأمر إلى صبغة جديدة تمامًا، وما هذا الكتاب إلا هيكل بحثى ترجمناه مع بعض الإضافات نقلاً عن كتاب.

The Psychology of Confession and the Orthodox Church لمؤلفه نيقولاس ف. جامفاس *Nicholas V. Gamvas*، من أجل المنفعة الروحية، ومن أجل مزيد من المعرفة فى مجال علم اللاهوت الرعوى *Pastoral Theology*.

لقد أضفت مفهومنا القبطى لسر التوبة والاعتراف ولزوميته للخلاص، كطوق نجاة لكل خاطىء، وعون محفوظ لأجلنا ضد الجحيم، يأتى بعد قياس المعمودية، إذا تركناه تخلينا عن خلاص نفوسنا بالتوانى ونصير أقل من الحيوانات البكماء التى لا تعرف وقت احتياجها للأدوية. بينما يغض الخاطىء الطرف وهو يعرف أن الرب قد أقام الاعتراف لأجل تجديده بالتوبة.

وأذكر بكل الخير خدمة وتعب الخادم الأمين والمترجم النابغة أ.د. شريف جيد (كاليفورنيا) الذى قام بترجمة هذه الدراسة وبإصدارات مجموعة إكثوس ΙΧΘΥΣ.



وأشكر الأستاذ الدكتور رسمى عبد الملك أستاذ التخطط التربوى وعميد معهد الرعاية من أجل المراجعة العلمية. وكتابته كلمة أفتتاحية سبقت مدخل الدراسة.

الله أبونا السماوى يبارك هذا العمل لمجد اسمه القدوس المبارك، وليجعل هذه الأقوال خلاصية لحساب ملكوته السماوى، وليقبل هذا التكريس فى دم المسيح يسوع ربنا، وليجعلنا ذبيحة مقبولة فى نعمة روحه القدوس، وليعوض كل من له تعب فهو لا ينسى كأس ماء بارد... بصلوات قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية وشريكه فى الخدمة الرسولية نيافة الأنبا بنيامين النائب البابوى لمدينة الاسكندرية.

ولله المجد فى كنيسته من الآن وإلى الأبد آمين

الامانة العامة للتربية الكنيسة
بمدينة الاسكندرية العظمى
١٩٩٥ م

أنطون فهمى چورچ
إكثوس ΙΧΘΥΣ
٧ نوڤمبر ١٩٩٥ م



كلمة افتتاحية

بقلم د. رسمى عبد الملك

أستاذ التخطيط التربوى

عميد معهد الرعاية وعضو المجلس الملى العام

إن جلسة الكاهن مع ابنه فى الاعتراف، هى عمل سرائرى من أهم مجالات خدمة العمل الفردى، والتعرف على خراف القطيع بأسمائها وأحوالها... فالاعتراف توبة وحب لله أكثر من أن يكون مجرد ندم أو حزن أو عملية تهدئة ضمير أو تنفيس عن المشاكل المكبوتة أو مجرد تذكير للخطايا أو إحصائها.. لكن الاعتراف هو اشتياق حار ورغبة أكيدة فى عشرة الرب.. هو تجاوب مع عمل الله الخلاصى.. يصبح الدافع إليه حب الله المنسكب فى قلبك، بقصد إنماء هذا الحب فيك.. فالاعتراف ليس أمام الكاهن، بل فى حضرته، أمام المسيح الكاهن الأعظم مباشرة، للتحلل من ثقل الخطية لنمو الإنسان الجديد والتعمق فى الحياة مع ربنا يسوع... لهذا لا نستطيع أن ننكر دور أب الاعتراف كطبيب يعالج الروح.. وهذا لا يعنى أن الكاهن يهتم بالناحية الروحية فقط، ويتجاهل الناحية الجسدية أو النفسية أو العقلية.. فالإنسان وحدة متكاملة، يحتاج إلى صديق صدوق كما يقول «غبطة البابا شنوده الثالث» صديق لا يشمئز من سماع خطاياك، لأنه تعوّد سماع الخطايا.. هذا الصديق هو الكاهن.. حيث يرى فى سماع الخطايا توبة لا افتخارًا.. إنه الأب والطبيب.

إن الاعتراف جلسة مع الرب فى حضرة أب الاعتراف، الذى يحاول أن يدخل إلى أعماق النفس... لهذا هناك أهمية وضرورة أن يتتلمذ الإنسان لأب روحى قديس قادر على تهذيب النفس البشرية، وتدريبها على صنع الفضيلة من أجل المسيح.

وهذا الكتاب الذى بين يديك «سيكولوچية الاعتراف *Psychlogy of Confession*» يوضح أمام الأباء الكهنة السبل لمساعدة الناس على أن يكتشفوا كيف يتعاملوا مع مشاعر الذنب المختلفة، خاصة وأن وعى الشعب المتزايد اليوم بالمصطلحات السيكولوچية، يحتم أن يكون رعاة الكنيسة واعيين بذلك المجال بطريقة وأسلوب جديد... فالمفاهيم السيكولوچية يمكن أن تستخدم للوصول إلى فهم أفضل لعملية الاعتراف وتأثيراتها على الأفراد، حتى يتم تفاعل شخصى بين الكاهن والمعترف، فأخذ الاعترافات أو إعطاء المشورة هو من صميم البناء الذاتى للإنسان من خلال العلاقة الثنائية بين الكاهن والمعترف...

وهكذا نتنزه نزهة روحية وعلمية بين صفحات هذا الكتاب القيم الذى يتكون من عدة فصول مترابطة، تعرض أولاً إلى مفاهيم سيكولوچية عن الخطية والذنب وكيف يتحرر الفرد من قلقه وخطاياه ومن مشاعر الذنب خلال سر الاعتراف المقدس، وهو يتضمن الإقرار بالأفكار والأفعال التى كبتت أو قُمعت قبلاً بسبب الخوف أو الخجل... ومن المفيد هنا للكاهن فى خدمته كأب اعتراف أن يفهم ويعى المنظورات السيكولوچية لطبيعة الذات وأثار الكبت وأصول الشعور بالذنب... ثم نصل فى رحلتنا داخل هذا الكتاب إلى مناقشة دور أب الاعتراف وكيف يمكن أن تُفهم تأثيرات هذا الدور من منظور سيكولوچى، وخاصة ما يؤكده علم النفس عن مدى قيمة الشعور بالارتياح الذى يحسه الإنسان عندما يروى بعض الخبرات التى مر بها وأهمية ذلك فى شفاء الإضطرابات النفسية... ثم نصل إلى المحطة الثالثة فى هذا الكتاب حيث يوضح الأبعاد السيكولوچية للحل والمغفرة... حيث يشعر المعترف برغبة عميقة وباحتياج لأن يتقابل مع هذا السلطان، ويجده فى شخص أب الاعتراف... وهكذا فى سر الاعتراف يؤدى أب الاعتراف دورين :

الأول: ينبع من سلطانه المعطى له بنعمة الكهنوت ، **والثانى:** هو قدرته الشخصية على الإرشاد الروحى، وتقديم المحبة والصداقة الأبوية للمعترف.. ويؤكد الفصل **الثالث** من هذا الكتاب على أن المعترفين يحتاجون إلى فهم وتعاطف وتفاعل واهتمام ورعاية وغفران، وثقتهم الكاملة التى يضعونها فى الكاهن، إنما هى تسليم صادق لشخص المسيح رئيس كهنة الخيرات العتيدة وأبو كل الأرواح.

وفى الفصل **الرابع** نجد المؤلف يوجه الأنظار إلى أن الاعتراف وسيلة للتغير، ففى ممارسة سر الاعتراف يضع المعترف نفسه تحت عينى الله ورؤيته ويحدد الوصايا والقيم التى سيحيا بها فى حياته المستقبلية، وهنا يكون التغيير عمل شعورى واعى تقدم فيه الإرادة البشرية رغبة واشتياق للجهاد لأجل بلوغ الكمال، وهنا أيضاً لابد أن نشير إلى قدرة الاعتراف على إحداث شعور للتحول نحو المسيح والتغيير بسبب ما يحدثه السر من توحيد وتجميع لكل القوى المتصارعة والمتعارضة فى شخصية المعترف وهو الوضع المثالى الذى يقول عنه الكتاب المقدس «لأن كل الذين ينقادون بروح الله أولئك هم أبناء الله» (رو٨ : ١٤) روح الله يقود أرواحهم، وأرواحهم تقود أجسادهم وعقولهم ويكون الله هو الكل فى الكل فى حياتهم...

وفى الفصل **الخامس** وقبل الأخير، أراد الكاتب أن يطلق طلقته التى تساير آراء علماء علم النفس الذين درسوا اللا شعور «سيجموند فرويد، وكارل چنج»، ويؤكد أن الاعتراف هو اكتشاف اللاشعور.

وفى الفصل **السادس** أوضح الكتاب دور الكاهن كخادم لسر الاعتراف وكمعالج للمعترف.

وبعد هذه السياحة الروحية فى هذا الكتاب، جلست مع نفسى وتساءلت هل هناك سمات معينة يجب أن تصبح من خصائص شخصية الأب الكاهن.. فعدت لقراءة هذا الكتاب مرة ثانية.. وجاءتنى الإجابة «نعم»، وتتلخص هذه السمات الشخصية فى:

١) معالج نفسى وروحى.

٢) له دراية بالمبادئ السيكولوچية.

٣) واعٍ للمفاهيم السيكولوچية (الشعور ، اللاشعور، الذنب).

٤) له معرفة بدوافع السلوك البشرى حسب خصائص نموهم.

٥) له مهارة الاستماع والإنصات واستخدام أساليب تجعل المعترف يتكلم بحريته وإرادته، ومهارة كيف يسأل التائب.

٦) مهارات للتفاعل مع الآخرين وله خبرة متخصصة فى حل المشكلات.

٧) قادر على بناء الثقة بالنفس لدى المعترف وإنماء ذلك الشعور بالثقة.

٨)أن يتمتع بشخصية محبة متعاطفة وقادرة على مشاركة الآخرين فى مشاعرهم، لإنماء علاقة الثقة مع المعترف.

٩) يتسم سلوكه بالصبر والوداعة والرقة والاستعداد الدائم للمساعدة.

١٠) لديه القدرة على التعاطف مع الشخص المعترف بخطاياه حتى يشعر الشخص أنه قد سُمع له حقًا وقُبل.

١١) مستعد لتقديم الإرشاد الروحى (بالإلهام والخبرة).

١٢) مريحًا ومعزيًا ومشجعًا للتائب أن يعترف.



١٣) يتمتع بسلطان داخلى، وأن يضبط الكاهن نفسه، ويضبط حواسه (مثلاً لايبدى أى علامات نفاذ صبر أو دهشة أو رفض).

١٤) أن يتصف بالقدرة على التمييز (موهبة الإفراز).

١٥) لديه مهارات سيكولوچية ناضجة، إذ لابد أن يكون قادرًا على تقييم وتمييز الحالة العقلية للتائب.

١٦) أن يكون صديقًا للمعترف مع الاحتفاظ بوقاره و احترامه، والحرص على ألا يتسبب التوقير والاحترام فى تقليل الثقة، وألا تتسبب ثقة الصداقة فى تقليل التوقير والاحترام... وأن يكون موضع ثقة حنون على المعترف يقدم له طاقة حب من أجل شفائه.

١٧) له فضائل روحية، وجهاد لأجل الكمال فى المسيح..

١٨) قادر على الجهاد وبذل الذات من أجل المعترف، وبذل الوقت مع المعترفين.

١٩) له سمات المعلم والمدبر وخادم السر ووكيل سرائر الله.

٢٠) إشباع حاجة المعترف لسلطة ضابطة، وهو احتياج يضمن أن يؤتى الاعتراف بثمار طيبة.

وأب الاعتراف مهما علت قامته لا يقوى أن يبنى نفسه ولكن «بانى الكل هو الله» (عب ٣ : ٤) وهكذا ليس هناك شك فى الفائدة المرجوة من هذا الكتاب القيم، فالتعرف على المفاهيم السيكولوچية يسهم فى تعميق فهمنا لسر الاعتراف وتحقيق الإرشاد الروحى، واستخدام الكنيسة لهذه المفاهيم يمكن كما يذكر الكاتب فى دراسته القيمة أن يساعدها على تقديم قيادة فعالة لأعضائها للوصول إلى المرشد الأوحد والطبيب الحقيقى ربنا

يسوع المسيح «ويكون الجميع متعلمين من الله» (يو ٦ : ٤٥).

إذ يسعدنى تقديم هذه الدراسة الجادة والحديثة، أرجو أن يتم الاستفادة منها والبحث الجيد فى معانيها ومفاهيمها... لتقديم خدمة باذلة للإنسان الذى اشتراه السيد المسيح له المجد بدمه .. إعلانًا منه بقيمة النفس البشرية.

كما يسعدنى أن أهنئ وأشكر الأستاذ أنطون فهمى چورچ (عضو اللجنة العليا للتربية الكنسية) لما تميز به من جدية فى إخراج مجموعة جادة من البحوث والدراسات الهامة لخدمة العمل الكنسى ضمن سلسلة أكثوس الآبائية الأرثوذكسية، التى اضافت أبحاث رعوية وكنسية حسب تعليم أباء الكنيسة.

أ.د / رسمى عبد الملك رستم

أستاذ التخطيط التربوى

بالمركز القومى للبحوث التربوية و التنمية

وأستاذ التربية وعلم النفس

بمعهد الرعاية والتربية

وعضو المجلس الملى العام

مدخل الدراسة

محاسبة النفس :

يحتاج الإنسان إلى جلسة مع نفسه يفحصها ويفتش دواخلها، ويرقب تصرفاتها ويحاسبها، إذ أن هذه الرقابة الذاتية وملاحظة النفس لازمة لاكتشاف الخبرات المؤلمة المقموعة والأفكار الشريرة المختزنة داخل النفس «لاحظ نفسك والتعليم، ودوامٍ على ذلك، فإنك إن فعلت ذلك تُخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً» (١تى ٤ : ١٦).

ويعتبر مبدأ ملاحظة النفس وفحصها ومحاسبتها من المبادئ الروحية الهامة التى بها نكشف مشاعرنا وتصرفاتنا وأفكارنا وحركات حواسنا وأقوالنا بطريقة روحية صريحة ومتزنة، نجلس فيها مع أنفسنا ونتذكر قول القديس مكاريوس الكبير «أحكم يا أخى على نفسك، قبل أن يحكموا عليك».

وتأتى جلسة محاسبة النفس من أجل لومها وتبكيتها وإعدادها للإقرار بالتوبة والاعتراف دون تبريرات أو أعذار «أنت بلا عذر أيها الإنسان» (رو٢ : ١)، ويقول القديس أنطونيوس الكبير «إن تذكرنا خطايانا، ينساها لنا الله، وإن نسينا خطايانا يذكرها لنا الله».

حيث أن الجراحات إذا شُهرت لا تصير إلى حال أسوأ بل تُشفى، ولا يمكن أن نخفى حية ما فى وكر قلبنا بل نرصدها ونشهرها حالاً للطبيب، لأننا لن نتجنب العار إلا بالاعتراف به، وبإرادة البرء والشفاء، التى بها نُميت إرادتنا ونميت شهواتنا. لأن الشيطان ينافسنا كى يتحكم فى دفة حياتنا ليفقدنا هدفنا الأبدى. أما أولئك الذين ماتوا فى المسيح لا يليقون للخطية πεακτοι πεὸσ ἁμαετιὰν ولا لأعمال النفاق ἀσεβειάσ

فمحاسبة النفس تتبعها إدانة النفس، يليهما علاج النفس، لذلك تدريب محاسبة النفس يهيئ لممارسة سليمة لسر الاعتراف وطلب الحل والمغفرة والمشورة الصالحة، فليس أفضل من أن يرجع الإنسان بالملامة على نفسه فى كل شئ، دون الوقوع فى عقدة الذنب *Sense of Guilt* أو الشعور بالإحباط *Depression* .

لا نراعى إثماً فى القلب بل نرجع إلى أنفسنا ندينها فى الداخل ونتطلع إلى مخدعنا الخفى فى أعماق قلوبنا، حيث نكون نحن وذاك الذى نراه وحدنا. هناك فليكن الإثم مكروهًا لدينا، وعندئذ نكون موضع سرور الله، مترجين خلاصه مقرين بخطايانا وراجعين لشركة حضن الكنيسة، مقلعين عن كل خطية لا تليق بأولاد الله مبتعدين عن كل عدم تقوى.

ومحاسبتنا لأنفسنا تبعدنا عن الانقسام النفسى وتساعدنا على انجماع شخصيتنا، إذ أن ملكوت الله لا يقوم مع مملكة الشر، ذلك إن وضعنا إرادتنا تحت مُلك الله، نفحص طرقنا ونتقدم للمسيح الطبيب الحقيقى الذى لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا معترفين بخطايانا، نجمع شخصيتنا فى صراحة وشجاعة روحية ونرفض أعمال الجسد والأمور الغريبة عن الله، ولا نعرج بين الفرقتين، رافضين فى أعماقنا تدليل «الأنا» من أجل المصالحة مع الله العارف بكل الأسرار. فى اعتراف الطب الروحانى الشافى للنفس والروح.

والتدقيق فى محاسبة النفس ينمى الضمير الصالح لدى الإنسان ويجعله مستعدًا لمعاينة القوات السمائية، خلال غسل الخطية بالندامة وتوبة النفس والحذر من السقوط المتكرر، فبالقلب المنسحق نتمتع بغسل الخطية خلال التوبة والاعتراف وفتح جرح القلب لإزالة كل ثقل الخطايا أثناء ممارسة الاعتراف الكامل، وأيضًا نحاسب أنفسنا متى أخطأنا ضد ذلك الذى ينبغى ألا نخطئ فى حقه... فإن كنا نحب المسيح كما ينبغى

يلزمنا أن نحاسب أنفسنا عندما نخطئ. راجعين إليه بثمار التوبة اللائقة والتى تجعل من غير المنظور منظورًا.

لا شك أن محاسبة النفس تساعد على تدريب الحواس ، فالزارع الذى يزرع فى أرضه حنطة مسوسة لاينتج منها ثمراً، كذلك كل من يجاهد ويتعب بغير معرفة... فالتوبة ميلاد جديد وهى ضمادة الطبيب السمائى، من وضعها على جرحه يبرأ على الفور. حيث أن الاعتراف قد صار «رأس الخلاص» الذى به نعطى علامة لثمار توبتنا وعودتنا، بعد انفصالنا عنه بالخطايا والدنايا. فيصير اعترافنا «سر» مصالحة بعد القطيعة، والحل هو ختمه الذى نناله من فم الكاهن كممثل للجماعة ونائباً عنها. لأن كل مالا تختم عليه الكنيسة لايكون قابلاً للصرف من عند الرب. لذلك يطلب الكاهن الحل لنفسه مع المعترف بنفسه وفمه، كحقيقة صادقة ἀλὴθια ἀληθησ

إنها دعوة لمحاسبة النفس «لنفحص طرقنا ونمتحنها ونرجع إلى الرب لنرفع قلوبنا وأيدينا إلى الله فى السموات» (مراثى ٣ : ٤٠)، ويقول القديس أنطونيوس الكبير «إذا سلمت نفسك ذاتها للرب بكل قوتها فإن الله الصالح يُظهر لها هذه الأوجاع والعيوب واحدة فواحدة لكى تحيد عنها». فالفكر الشرير يضعف بمجرد كشفه، وبقوة السر ينسحب أفعوان الدنس لكهفه المظلم. فى حرث للأرض وإزالة عوسجها وتنقيتها من الشوك وعدم كتمها لأفعالها حيث أن كل فحص مدقق للذات «منهجى» يجعلها تبصر أى لصوص يأتونها ليسرقوا عناقيدها. «اذهب أرِ نفسك للكاهن» (مر ١ :٤٤) من أجل صيانتها ونوال نعمة وخبرة الشفاء الإلهى.

سر الاعتراف :

تسمى الكنيسة سر الاعتراف ἐξομολογησισ بـ «سر التوبة» μετανοέω لأنه فعلاً يقود إلى التوبة، يغسل وينقى ويطهر شحنات الشر «لك وحدك أخطأت والشر قدامك صنعت» (مز ٥٠)، وفى هذا السر نقر بخطايانا ونطلب الحل والمغفرة للوصول إلى المصالحة مع الله والناس (طهرنا، باركنا، حاللنا).

وسمَّى العلامة ترتليان سر التوبة والاعتراف «حلاً للخطايا» و«ميناءً ثان بعد الغرق» ودعاه ايريناؤس «اعترافًا» وسماه اغسطينوس «مصالحة»، لذلك من المشاعر المقترنة بالاعتراف أن يشعر الخاطىء بندامة قلب وانسحاق وإصرار على ترك الماضى الخاطىء وقطع الصلة بالخطية تماماً، فى اعتراف إلى الله بواسطة الكاهن لنوال الحل والبركة.(قطع كل رباطات خطايانا).

ومعنى الاعتراف بالخطية أن المسيح يحملها بدلاً من المعترف فتنتقل منه إلى المسيح ليحملها عنه ويمحوها بدمه «وُضع عليه إثم جميعنا» (أش ٥٣ : ٦)، لذلك لابد من فهم سليم لسرائرية الاعتراف كسر كنسى وطب روحى يعالج الأمراض الروحية، فلا ينفصل الاعتراف عن المسيح ودمه، فهو جزء من التوبة، وممارسته ليست معزولة عن غفران الخطايا.

وهذا هو الفرق بين الاعتراف كسر وبين العلاج النفسى. فالاعتراف هو عملية نقل، وبدون هذا النقل لا تتم مغفرة، وداود النبى والملك ظل يبلل فراشه بدموعه بسبب خطيته، وقال له يوناثان «الرب نقل عنك خطيتك، لا تموت» (٢صم ١٢ : ١٣).

وهناك ارتباط بين سر «التوبة والاعتراف» وبين «الغفران»، فهذه هى الطريقة الوحيدة للمغفرة، لأنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة (عب ٩ : ٢٢)



والمعترف عندما يتوب عن خطيته ويعترف بها، تنتقل إلى حساب المسيح فلا يموت لأن المسيح قد مات عنه «ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية» (١يو ١ : ٧) . (من قبل آلامه المخلصة المحيية) .

فهناك فرق بين جلسة الاعتراف التى تنتقل فيها خطايانا إلى القدوس الذى بلا خطية ليغفرها لنا بفعل دمه وفدائه الثمين وبين جلسات العلاج النفسى، إذ أن سر الاعتراف لابد أن يقترن بالتوبة والإيمان بالغفران مع العزم الصادق على التغيير بفاعلية غفران دم المسيح الذى يطهر من كل خطية، إنه فعل غفران وتغيير من وإلى، من الخطية إلى البر، من الظلمة إلى النور، من الدنس إلى القداسة، إنه تحول من الشعور بالذنب إلى الشفاء والإتحاد بالابن القدوس حامل خطية العالم كله الذى يبرر ويقدس الفاجر .

إن الدور الذى يمارسه أب الاعتراف كقبول ناثان لتوبة داود النبى من بعد السقطة العظيمة وإقامته منها، إذ قال له أن الله قد غفر لك خطيتك وأعطاه علامة المغفرة والشفاء من الأوجاع، وسيبقى **المحلل** طبيبًا نفسيًا فقط ويبقى **الكاهن** طبيبًا روحيًا والسر الروحى أرقى بما لا يقاس من العملية النفسية بعمل اليد الإلهية غير المنظور، وبفعل الروح القدس الفاعل فى الأسرار الخلاصية . لأن استئصال الخطية والشر لا يمكن تحقيقه إلا بواسطة القوة الإلهية التى بها وحدها نستعيد نقاوتنا وجمالنا الإلهى فى صلاح وعدل وبر **δικαισύνη** .

وللمعترف نموذج رائع فى توبة داود النبى الذى يقود التائبين إلى الندم بقدوته ويعلمهم فى ندمهم ما ينبغى أن يعملوه وماينبغى أن يعترفوا به ليتمتعوا بوفرة المراحم الإلهية وغزارتها بمحو المعاصى وشطب الدين من السجل، حينما يكون المدين قد سدد الدين أو يكون الدائن قد تنازل عن دينه . «ارحمنى يا الله كعظيم رحمتك وكمثل رأفاتك امحو إثمى» . . . . (مز ٥٠) .

وفى صراحة الاعتراف يتكون لدينا شعور بالندامة على الخطية ويكون أيضًا الصفح ماثلاً بوضوح أكثر أمامنا، فتغتسل نفوسنا بعمل النعمة وتتطهر قلوبنا ونكون لائقين للعشرة الإلهية مقبولين لدى المسيح ولنا دالة عنده.

نأتى مقرين ومخبرين بأفعالنا (أع ١٩ : ١٨) ولا نخجل من أن نكشف خطايانا أمام كاهن الله طالبين منه الشفاء، ولا نخفى آثامنا بل نعترف بها للرّب، ونكشف خطايانا لله وللآباء الذين يستطيعون أيضًا أن يشفوا جراحاتنا، فكما أن المعتمد من الكاهن يستنير بنعمة الروح القدس هكذا كل من يعترف بخطاياه بواسطة الكاهن يحظى بالغفران بنعمة المسيح. «معترفين ἐξομολογούμενοι بخطاياهم» (مر ١ :٥)، (مت ٣ : ٦).

وعن ضرورة الاعتراف فى الحياة الروحية يقول القديس كيرلس الأورشليمى «إن الزمان الحاضر زمان الاعتراف فاعترف بما ارتكبت قولاً وفعلاً ليلاً ونهارًا»، ويقول القديس باسيليوس «من اللازم الاعتراف بالخطايا لمن سُلم إليهم توزيع أسرار الله» إذ أن القوانين والتأديبات والتداريب الكنيسة هى بمثابة عقاقير روحية تُعالج بها أمراض النفس للتهذيب والتقويم والبنيان بالعهد والوصية διαθήκη .

فالذى يتذكر خطاياه دائمًا يخجل، ومن يخجل يندم، ومن يندم يعترف، ثم يتهذب ويحترس من الوقوع فى خطايا أخرى فينال مغفرة الخطية «قلت اعترف للرب بذنبى وأنت رفعت آثام خطيتى» (مز٣٢) وتشعر النفس بأنها تخلصت من الخوف لأجل خطاياها وأنها ساكنة فى نعمة الله ومحبته، تتمتع بالسلامة التى تفوق كل عقل، و بقلب مستريح ومبتهج بالخلاص.

لذلك لابد أن نعترف بخطايانا مادمنا فى الحياة الحاضرة... نتقدم معترفين بندامة وخشوع وانسحاق ونفحص خطايانا ونعرف ثقل آثامنا، وبضمير صالح نفتح أعين قلوبنا وندرك نقائصنا. وبقدر ما نسقط في الخطايا، ننوح عليها ونتوب عنها.لنتدرج للوصول إلى الإنسان الكامل إلى قياس قامة ملء المسيح (أف ٤ : ١٣) مبتعدين عن أشواك وأدغال وأوحال العالم ومسالكه وأصواته ومساعيه المخزية حتى نقترب بمهارة لاقتناء «حكمة الله المتنوعة» (أف ٣ : ١٠). مع كل خائفى و «متقى» الله ψοβούμενοι φοβούενοι τὸν θεὸν .

وقد تحدث العلامة ترتليان بصورة واضحة عن إجراءات وشكل التوبة، مؤكداً بأن هناك غفرانًا ثانيًا للخطية بعد المعمودية والذى به يعود الخاطىء إلى حالة النعمة مرة أخرى، فيرى أن الخطوة الأخيرة فى التوبة هى الحل الكنسى من الأب الأسقف الذى يملك أيضًا سلطان الحرمان، وبصفة عامة أى إنسان خاطىء وحتى أردأ الخطاة يمكن أن ينال المغفرة، ويفرّق العلامة ترتليان بين الخطايا الجسدية والخطايا الروحية، أى بين الخطايا التى تقترف فعلاً وبين الخطايا التى يشتهيها الإنسان فقط، ويعلم ترتليان أن كلا النوعين يقع تحت دينونة الله، فقد قال رب المجد أنه ليس فقط الذى يزنى فعلاً هو زانى بل والذى يشتهى أيضاً. لكن كل هذه التعديات يمكن أن تُغفر، والله الذى وضع العقوبة والدينونة، هو نفسه يهب الغفران عن طريق التوبة والاعتراف، فالتوبة هى الحياة، ولا يُستقصى أى خاطىء من نوال نعمة التوبة المستمرة، كالدرهم المفقود والخروف الضال والابن الضال، هكذا يَفرح الله بالإنسان الراجع.حتى يتكمل فى الاستعداد ليتجاوب بالتعب والصبر والفطنة والاشتياق والمواظبة وقوة الطلب وإلحاح اليقين (١تس ١ : ٥) كسقوط أسوار اريحا وكقتال عماليق، حتى تسقط أسوار مدن الشر وتنهزم عماليق وتتدرب حواس النفس بالتقديس (عب ٥ : ١٤).

ويؤكد العلامة ترتليان بأن الاعتراف بالخطية يهونها، بقدر ما أن إخفائها يكبرها، لأن الاعتراف قرين الرضى، والخفاء هو قرين التمرد، ولكن لا يكفى فقط الإتيان بالتوبة داخل الضمير، بل يلزم أيضاً التعبير عنها بالعمل والثمار، وهذا العمل يعبر عنه عادة الاصطلاح اليونانى Εξομολογησισ أى «الاعتراف» الذى به نعترف بخطايانا للرب، ليس لأنه لا يعرفها بل لأجل أن ننال الرضى من خلال الاعتراف، وبالاعتراف تنشأ التوبة، وبالتوبة نسكن غضب الله، فالاعتراف هو النظام الذى يُلزم الإنسان أن يخضع ويسجد ويتضع، إذ يفرض عليه سلوكًا معيناً يجتذب إليه الرحمة، لهذا حينما ندين أنفسنا يحلها ويرفعها الله، و«بقدر ما ترفض أن تشفق على نفسك بقدر ما يشفق الله عليك».

أحيانًا ينظر البعض إلى الاعتراف على أنه مجرد جلسة مع محلل نفسى، يحلل مشاكل المعترف ليعطيه علاجًا نفسيًا، أى أنها عملية تنفيس للمشاكل المكبوتة فى النفس، حيث لايجد المعترف من يعرض عليه مشاكله الخاصة لأسباب اجتماعية أو شخصية، وآخرون يحسبون الاعتراف عملية تهدئة للضمير، بينما سر التوبة والاعتراف هو (معمودية ثانية)، يُحاكم فيها الخاطىء ويحالل فيها التائب ويحيا... ولادة جديدة، معمودية بلا ماء، خدمة مصالحة مع الله. لتصير النفس عرشًا لله وتتشرب أشعة مجده وتتمتع بأن تكون كرسيه ومسكنه. كلها نوراً وعيناً للجسد حسب مشيئه قيادة القائد الكونى الذى يزينها بكمالات بره ومجده.

ففى إقامة لعازر، خرج من موته خارجاً ولكن بأربطته، وهكذا صار حيًا بالاعتراف ولكنه لم يكن قادراً على السير إنما تخبل بأربطته... لذلك تعطى الكنيسة الحل للمعترف بحسب ما قاله الرب لتلاميذه «حلوه

ودعوه يذهب» . فيصير المعترف قائماً حياً حالاً ، يتحلل من الإنسان العتيق بالاعتراف الحسن ليحيا فى نمو روحى .

كما يتركز التأثير العلاجى لسر الاعتراف فى الحرص على كشف حيل الشيطان وفضح خداعه وألاعيبه ، إذ أن الخطية تجد مجالاً خصبًا فى الخفاء والظلمة ، وباعترافنا بها نسقط الشيطان ، وبعد أن يفتضح لن يستطيع أن يكدرنا ، وباعترافنا ندخل إلى النور ، منسحبين من الظلمة ، ويزول عنا الاستبداد الشيطانى بقوة الاعتراف... يذكر لنا التاريخ الكنسى كيف أن القديس موسى القس الأسود عندما اعترف بجرائمه على يدى الأب ايسيذروس ، رأى القديس مكاريوس الكبير أثناء اعترافه ملاكًا ممسكًا بلوح عليه كتابة سوداء ، وكلما اعترف موسى بخطية قديمة مسحها ملاك الرب حتى إذا ما انتهى من الاعتراف وجد اللوح أبيض تمامًا . «هوذا كلك صرت أبيض يا موسى» .

فلنستعد للاعتراف لا مزودين بلائحة من الخطايا بل متسلحين بالحاجة الأكيدة إلى إقرار التوبة ، نتمتع بفرح وسلام التوبة ، عندما لا يمتد ولا يغرقنا الشر فى لجة مياه عكرة ، مياه الاكتفاء الذاتى والأعذار وتبرير النفس والتأجيل ناظرين إلى غذائنا ونمونا الروحى مكتسيين بنعمة ماء وخمر وزيت حياة النعمة والمواظبة على الكتب المقدسة **ιἐρα γράμματα** أنفاس الله **θεόπνευστοσ** .



المعترف:

أما عن المعترف فيجب أن يبكى بمرارة لأنه عصى السيد الرحيم الذى يطلب خلاصه، وأن يُظهر فى قلبه سائر علامات التوبة بعزم على إصلاح سيرته مقرًا بالخطية معترفًا بها فينال الغفران والصفح بواسطة الكهنة لأنهم من الله، الذى يمنح المواهب ويعطيها لوكلائه وكهنته.

كثير من المعترفين ينتبهون إلى الخجل أكثر من الخلاص فيهربون من الاعتراف أو يؤخرونه كمن يخفى مرضه عن الأطباء فيباد بخجله... فالمعترف يُشفى ويبرأ من أوجاعه بعمل نعمة السر، وكما أن من يبقى فى بطنه الطعام الفاسد تتثقل معدته بخلط أو ببلغم، يستريح عندما يتقيئ، كذلك من أخطأ وأخفى الإثم فى داخله خنقه بلغم الخطية وخلطها، ولكن إن شكى نفسه فبشكايته واعترافه يتقيأ الإثم وتزول علة المرض، وكل من يُقبل إلى الاعتراف بأمانة يرى عتمته الداخلية، ويتمتع بالحل الذى يجدد فعل الروح القدس فيه. وبقوة الملح السماوى تموت أفكار الخطايا والعادات الشريرة العتيقة وكل أنشطة الظلمة، حتى يمسك الله بزمام النفس ويلهمها بالنصرة ويمنحها عيون مقابل عيون وآذان مقابل آذان وأيادى مقابل أيادى بإرادة حاضرة (رو ٦ : ٨). لترك الخطية التى تعرينا عرياً كيانيًا **όντολογική απούμνωση** وتعرينا من بصيرة النفس والضمير ومن السمة الإلهية والنسيج الإلهى، لذلك الأولى بالمعترفين أن يعترفوا بآثامهم وخطاياهم من أن تتصلب قلوبهم (بحسب قول القديس كلمنضس الرومانى) لأن من يكتم خطاياه لا ينجح. ويقول القديس امبروسيوس «إظهر جراحاتك للطبيب فيشفيك، أزل آثار جروحك بالدموع» ويقول أيضًا القديس اغريغوريوس النيصى «إن نعمة الله لا يمكن أن تنسكب على النفوس التى تتهرب من خلاصها».

وعلى المعترف ألا يخجل من أن يعترف بخطاياه فالذى يستحى أن يعترف بخطاياه لا يخلص، ففى ذلك اليوم ليس قدام واحد يُشهّر بل قدام المسكونة كلها. ليتنا نسمد حقلنا متمثلين بالمزارعين المجاهدين، الذين لا يخجلون من إشباع الأرض بالسماد، وينثرون الرماد القذر على الحقل حتى يجمعوا محصولاً أوفر، حقاً أنه من المخجل أن يعترف الإنسان بخطاياه، ولكن هذا الخجل يكون أشبه بعملية الحرث للأرض، وإزالة العوسج منها، وتنقيتها من الأشواك، وبذلك تظهر الثمار التى كانت معروفة لتثمر وتزهر وتكثر ثلاثين وستين ومئة. لنوال نعمة الفهم **χάριν τον νοήσαι** للأسفار المقدسة والحياة مع الله.

يشرح الآباء سر التوبة والاعتراف مؤكدين على أن من لم يخجل من الرب هنا على الأرض، لن يخجل الرب منه فى السماء (لو٩ : ٢٦) فالخروج خارج المحلة وكشف الجراحات والاعتراف يعيدنا إلى المحلة مرة أخرى عابرين حفاة القدمين على أنهار دموع التوبة.

لذلك شبه الرب يسوع «الضمير» فى عظته على الجبل بالعين (مت ٦ :٢٢) وبالنير الذى به ينبغى أن نرجع ونعود إلى صوابنا قبل الدينونة «كن مراضيا لخصمك سريعًا لئلا يسلمك الخصم إلى القاضى» (مت ٥ :٢٥) فكلمه «خصم» تؤكد على موقف الضمير الروحى الذى يقاوم الرغبات والمقاصد الشريرة بتمييز وبصيرة وفطنة **ἐπίγνωσισ** .

ما أحوج المعترف أن يكشف ذاته للطبيب إذا شاء العلاج من علته، فإذا تكاثرت عليه الأمراض والعلل، عليه أن يوضحها كلها لأبيه الروحى لأنه إن أخفى عنه واحدة لن يشفى من مرضه... ففى صراحة المعترف المطلقة يضفى نورًا مشعًا على خفايا حياته فيساعد أبيه الروحى على قيادته...

ويكون النور حالاً فيه بلا ظلمة أو كذب، مستعملاً الشعور بالذنب لاستجماع طاقاته ضد الأهواء والأفكار الشريرة، مذكيًا هذا الشعور من أجل بداية جديدة وللتبديل والتحول بعيدًا عن الأركان الضعيفة.

ولابد أن يتقدم المعترف ليدين نفسه شاعرًا بأهمية الاعتراف ولزوميته ليتخلص من الخطايا المقبلة بشغف وبسرعة، لئلا يخسر نعمة الغسل التىنالها فى المعمودية، لأنه من الأفضل أن يكون لنا ثوب نصلحه عن ألا يكون لنا ثوب نرتديه.

إن المريض (المعترف) الذى يعترف بمرضه يجد العافية وينال الشفاء، وندامة المعترف تصُلح نفسه، لأن كل من يعترف بخطيته ὴάμαρτία وتعدياته παράπτωμα يكون بذلك قد قام من موته وصار حياً وقوة الاعتراف تشفى وتفضح ألاعيب الشيطان وتلجم لسانه عندما يشتكى على المعترف، وتفتح نوافذ النفس لقبول عمل النعمة الإلهية.

سر الاعتراف والإقرار بالأعمال الشريرة هو بداية خطوة الأعمال الصالحة... والاعتراف بالجهل خطوة إلى المعرفة يفتح فيها المعترف صدره لينقى ويعرى كل أفكاره الخفية ويسمع من مرشد مختبر «إفعل هذا وتجنب ذاك، هذا حق وذاك لا، هذه فضيلة وتلك إرادة ذاتية» ومن يسمع من آبائه فمن الرب يسمع، ومن لا يسمع منهم فلا يسمع من الرب، ومن يعتمد على رأيه الذاتى مخدوعًا حتى ولو كان قديسًا، لذلك لابد للمعترف أن يقطع جميع هوى نفسه، ويعمل هوى الذى ائتمنه على نفسه أى أبيه الروحى.

فالنفس تحتاج إلى من يرشدها ويغذيها بنار المحبة الإلهية التى أُضرمت فى قلبها بالمعمودية، لئلا تجف داخلياً وتيبس وتقع فريسة للعدو الشرير،

بالتدرب على الاعتراف الذى يكشف فرح التوبة العميق ويرقى سلم الملكوت ويستعيد القوة الروحية.

بنعمة الروح القدس الفاعل فى السر، والذى به ننال البرء والحل وغفران الخطايا، ذاك الروح الفريد الصالح المغيث الذى به نتذوق حلاوة وغنى طبيعة الكنيسة *Eccledioloagy* خادمة الخلاص، ونشبع بكفاية الأسرار ولزوميتها للخلاص *Sacramental*، لمعاينة رؤية شركة الثالوث القدوس *Thealogy* كأعلى قمة مسيحية، تقيم عقولنا وتوفق كياننا. إذ لابد أن يكون الاعتراف بالخطايا قبل التناول، كما تُخبرنا الدايداخيه بإن الاعتراف يجب أن يكون فى الكنيسة. وأن نتقدم للافخارستيا بعد ممارسة سر الاعتراف **πεοσεξομολ ογὴσὰμενοι** .

أب الاعتراف:

وعن دور أب الاعتراف يقول القديس يوحنا ذهبى الفم أن ما يعمله الكهنة تحت «وعلى الأرض» يثبته الله فوق «وفى السماء»، ويؤيد السيد رأى عبيده، لذلك يقوم آباء الاعتراف بإعطاء الحل والإرشاد الروحى للمعترف، فهؤلاء نالوا سلطانًا لا على مرض جسدانى بل على الدنس النفسانى والروحى.

وكما أن غاية صناعة الطب فى معالجة الجسد واحدة وهى صحة المريض وأوجه المعالجة كثيرة ومتنوعة، كذلك تتنوع العلاجات فى سر الاعتراف بحسب تنوع مرض الخاطىء وسقم نفسه.

وإذا كان أب الاعتراف يمنح الحل بالسلطان الممنوح له من الله، فهو أيضاً شاهد على توبة المعترف ويلازم ويساند جهاده الروحى، وهو مدبر ومرشد للمعترف يعطى الارشاد والمشورة التى تقود الإنسان فى حياته مع

الله، تلك الارشادات الأبوية التى تلين قساوة القلب الخاطىء وتحركه إلى اكتشاف ضعفاته والاعتراف بها، كمراهم تهذب أعضاء الكنيسة وتبرء الخطاة وتغير سيرتهم الرديئة وترجعهم من طرائقهم الشريرة، مشتاقين إلى إصلاح نفوسهم « لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين لكن ليس آباء كثيرون» (١كو ٤ : ١٥).

وآباء الاعتراف يتركون فى نفوس سامعيهم مناخس تدخل تعليم ارشادهم صميم القلوب حتى يبرزوا خفاياهم ويعترفوا جهاراً بقبائح سيرتهم الماضية فينضموا إلى صفوف الباكين مع الذين سقطوا ودخلوا مصاف التائبين والمعترفين، وبالعلاجات صاروا أصحاء. «تائبين معترفين باكين راكعين». فى تواصل وجدانى ووحدة مع المجتمع الكنسى، ووسط شركة جماعة المؤمنين، بعد كشف الذات الدفينة *Implicit Self* للنفس وأمام أب الاعتراف، فى ضوء اللهج فى الكلمة الإلهية *lectio divina* ليس فقط فهمها، بل ووعيها الذى به يتم التغيير والشفاء والنمو حسب تعبير معلمنا بولس الرسول «تغيير الناموس الذى فى أعضائى» (رو ٧).

وأب الاعتراف وكيل أمين يقوم بإدارة أمور موكله حسناً، ويعمل بقوته الممنوحة له من الله، وباتساع قلب خبير بشئون الحياة متصرفًا فى أمور شتى ... فهو يختصر المسافات ويوفر على المعترف مشقة الانحرافات المهلكة، إذ أنه «مُعلم صنعة ماهر» و «مدرب روحى»، يسحب المعترف من ألون التعلق، ويقوده فى نموه الروحى وفى نقل الجبال (جبال الخطايا) بقوة الروح القدس الفاعل والذى يقدس الأسرار. أباً بمعنى الكلمة ناضج الفكر واسع الأفق لا متعصبًا ولامتحيزاً ولا متقمصاً ولامتقولباً ولا أنانياً، حتى لا يكون مصدر هلاك، فهو لا يقولب المعترفين ولا يقتحمهم ولا يتسيد عليهم، لأن ذلك كفيل بمسخهم وأطفاء شعلة مواهبهم لكنه يوصل المفهومات الإلهية

بنعمة قوة السر القادرة على تطبيع وتشكيل وتعديل النفوس بما يتوافق مع دعوتها وتركيبها لبلوغ عمق أعماق الحق.

ويقول البابا أثناسيوس الرسولى «بواسطة الكاهن ينال التائب الغفران بنعمة المسيح» ويؤكد القديس باسيليوس الكبير على أن «الاعتراف بالخطايا للمؤتمنين على تدبير أسرار الله ضرورى» ويدلل القديس امبروسيوس على دور الكاهن فى ممارسة السر، فيقول «من يستطيع أن يترك خطايانا إلا الله وحده والذين أعطاهم هذا السلطان».

فأب الاعتراف يهتم بخلاص المعترف لأن فى خلاصه ـ المعترف ـ خلاصًا لأب الاعتراف، لأنه يقوم بدور أبوى إرشادى «الذين بلا إرشاد يسقطون كأوراق الشجر» (أم ١١ :١٤) «ويل لمن هو وحده، إن وقع ليس له ثان ليقيمه» (جا ٤ : ١٠) من هنا يتحقق الارتباط السرى بين المعترف وأبيه الكاهن ويصير ارتباطاً سرائريًا روحياً يقوم فيه الكاهن بدوره الكهنوتى الأبوى والإرشادى ليتلمذ أولاداً للرب «اسأل أباك فيخبرك وشيوخك فيقولوا لك » (تث ٣٢ : ٧). وقدوة الكاهن تجعله دائماً مقياس وقانون لحياة النفوس كصورة أصلية للطبيب المشفى. مثلما جعلت التلمذة من القديس مقار الكبير حكيماً وراجح العقل، وقد لقبوه بالشاب الشيخ παιδαριογέρων (بيداريوجيرون)

ولابد أن تتوفر الثقة بين أب الاعتراف والمعترف كقول القديس أنطونيوس الكبير «ضع فى قلبك أن تسمع لأبيك فتحل بركة الله عليك» ويصير لأب الاعتراف دوره كطبيب يعالج الروح والنفس، الأمر الذى جعل علماء النفس يرون أن الاعتراف من الناحية النفسية مفيد لسلامة شخصية الإنسان أيضاً .

وبينما أب الاعتراف يقود أولاده الروحيين يحتاج هو إلى من يقوده، فسيرة الكهنة هى وعظ دائم لخلاص المعترفين، والقديس ساويرس بن المقفع يقول «لا يجب لأحد أن يجعل نفسه رأساً بغير رأس ولا أبًا بغير أب»، وكل من لا يتخذ مرشدًا له فى حياته الروحية يشبه ورقة الخريف التى تقطع عن غذاء الشجرة الأم وعصارتها، فتيبس وتنفصل عن الغصن فيستولى عليها الأعداء ويدوسونها بأرجلهم.

الكاهن يقدم المعالجة لشفاء الأوجاع وفى وجوده يدين الخاطىء نفسه أمام الله وفى محضره، الذى يعلن المغفرة عندما تنقل الخطية لحساب المسيح، لذلك على الكاهن أن لا يتهاون فى حق الله مع أولاده المعترفين، بل يقودهم للقاء شخصى مع ربنا يسوع المسيح مخلصنا بواسطة الروح القدس، عندما نسمع صوت الله على يدى الكاهن ونتعرف على إرادة الله ونطلبها كاملة على لسانه، لأننا نحتاج إلى عون وإرشاد نعمة الله، **فليس من بائس مثل ذاك الذى لا يقوده أحد فى طريق الله**.

وحسنًا تم تسمية أب الاعتراف بـ «بنفماتيكوس» *Pneumatikos* أى **المرشد الروحى خادم الشفاء بالتوبة لعودة الإنسان للشركة مع الله**، فيتلقى من الله موهبة الشفاء العظمى من أجل تدبير ومداوة النفوس. كى تقوم وتفرح وتنفض غبار الخطية، لترى الله والآخر ونفسها، بسر العمل الفائق الذى للثالوث القدوس مركز حياتنا.







الفصل الأول
مفاهيم سيكولوچية عن الخطية والذنب
Psychological Perspectives on Sin and Guilt

إِن الاعتـراف هو فعل شخصى فـردى، وعلاقة ثنائية بين الكاهن والمعترف، ويُعد هذا هو التشابه الأول بين الاعتراف والعلاج النفسى الذى يعالج حالات مماثلة خارج الكنيسة، وقد كانت الدراسات السيكولوچية نافعة دوماً للآباء الكهنة الذين يقضون الكثير من وقتهم فى إِرشاد أبنائهم الروحيين.

وتأتى أهمية دراسة علم النفس من التشابه القائم بين الاعتراف وبعض أبعاد التحليل النفسى أو العلاج النفسى، فالكنيسة الأرثوذكسية تحرص وتهتم أن يمارس أبناؤها بانتظام سر الاعتراف عن خطاياهم، إِذ أن الخطية تعوق شركة المؤمن وعلاقته مع المؤمنين ومع الله أيضاً، والخطية يليها شعور بالذنب *Sense of Guilt*، والذنب يتبعه الاعتراف، وعندئذ عن طريق الحل المعطى فى سر الاعتراف المقدس، يتصالح التائب ثانية مع الكنيسة ومع الله، وهكذا يجد شفاء لمرض خطيته «براءة ومداوة واستقامة بدلا من الاخفاق والجحود واليأس». وكل حجر عثرة وصخرة شك **σκάνδαλον** .

وبالمثل فى حالات العلاج النفسى، يعانى المريض من العُصاب *Neurosis* أو يكون غير مدركًا أنه يخطئ، وينتج عن هذا شعور بالذنب والقلق، وخلال عملية العلاج النفسى والتى تتضمن مناقشة الأخطاء وظواهر العُصاب، يتحرر الفرد من قلقه مما يساعده أن يحيا حياة أكثر مسئولية وأكثر صحة فى جدة الروح، كموقف دائم يصير فيه الكل جديداً (٢كو٥ :١٧).

ويجب أن نشير إلى أن المفهوم السيكولوچى المُقدم هنا سوف يكون عملياً وتقليدياً، إذ أن هناك مدارس فكرية لا حصر لها فى هذا المجال، ومن المستحيل أن نستعرض أراء كل هذه المدارس المتنوعة، وينطبق هذا بالأخص على تقنيات العلاج النفسى، وعلى درجة التشابه بينه وبين الاعتراف كوسيلة للشفاء من الذنب، وهكذا سنتناول فى هذه الدراسة العموميات المقبولة من الجميع، والمبادئ السيكولوچية التى تعنى بالخطية والذنب والأثار التطهيرية للاعتراف. كما يقول القديس ثيؤفان الناسك (إذا كانت الغرفة غارقة فى الظلام، فأننا لا نستطيع أن نميز مابها من قذارة، أما إذا أُنيرت فحينئذ نستطيع أن نكتشف ما بها من غبار. هذا هو حال النفس تمامًا).

وفى العهد الجديد وفى تعليم وتقليد الكنيسة، ينظر إلى الخطية كأعمال ترتكب أو كحالة يكون فيها الإنسان، وترتبط تعريفات الخطية بالمفاهيم الخاصة بطبيعة الإنسان، وفى رسالته إلى أهل رومية يقول القديس بولس الرسول «إذاً أجد الناموس لى حينما أريد أن أفعل الحسنى أن الشر حاضر عندى، فإنى أُسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن، ولكنى أرى ناموساً آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ويسبينى إلى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى» (رو ٧ :٢١ - ٢٣) وفى إنجيل معلمنا مرقس نقرأ «لأنه من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة... جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجس الإنسان» (مر ٧ : ٢١ - ٢٣).

ويتضمن المفهوم السيكولوچى للخطية أو لارتكاب الخطية، مفاهيم عن الشعور واللاشعور *conscious and unconscious* ويؤكد على أهمية دوافع السلوك الإنسانى، وبدلاً من دراسة الخطايا، يتناول علم النفس

التقييم الأخلاقى لبعض الأفعال، ومدى شعور الفرد بالمسئولية الأخلاقية، كما يتناول التوقعات الاجتماعية أى توقعات المجتمع من الفرد، والتى فى النهاية تصيبه بالشعور بالذنب.

ويفترض علم النفس أن دوافع السلوك البشرى تنتج عن غرائز أساسية فى الإنسان، وهذه موجودة فى اللاشعور، مثل الحاجة إلى الحب، الحاجة إلى الأمان والنجاح، إلى الإشباع الجنسى، وإلى القبول ... ، وتبدأ المتاعب عندما تُكبت هذه الغرائز وتُقمع، مما يسبب توتر نفسى هائل، وأخيراً يصل الإنسان إلى الشعور بالذنب، وهكذا يتناول التحليل النفسى الذنب أكثر مما يتناول الخطية أو فعل الخطأ.

وبينما يعتمد تعريف الخطية وعلاقتها بطبيعة الإنسان على الإطار اللاهوتى الذى تُناقش فيه، نجد الشعور بالذنب من الناحية الأخرى مصطلحًا أكثر حيادية فيمكن أن يستخدمه اللاهوتيون والنفسيون بنفس الطريقة، **وبالنسبة للمسيحيين فإنهم يعالجون الشعور بالذنب عن طريق سر الاعتراف، أما المعالجون النفسيون فيعالجونه عن طريق قبول الذات** *Self acceptance* **ومعرفة واكتشاف أصول وجذور هذا الشعور. مثلما يقول القديس يوحنا كرونستادت.. (التوبة هى أن نعرف الزيف الموجود فى القلب لنتخلص منه).**

ويمكن أن يتخذ الشعور بالذنب عدة أشكال اعتماداً على جذوره وأسبابه، وقد رأى فرويد *Freud* الذنب كنوع من العُصاب الذى ينتج من ضغوط اجتماعية، والشخص العصابى يشعر بخوف شديد وقلق.

ويشرح علم النفس أن الناس جميعهم ينمون ويكبرون بمشاعر الذنب المرتبطة بالتوقعات الاجتماعية المنتظرة منهم، فالحياة الأسرية هى مجال

يُسمع فيه الكثير من النقد المتبادل، ويمكن أن ينتج عن هذا شعور بالذنب، فالطفل الذى ينمو وله أب ناقد متسلط، يمكن أن تنغرس فيه مشاعر قوية بالذنب والدونية وأنه عديم القيمة، ومثل هذا الشعور يمكن أن يتسبب فى الكثير من المتاعب مالم تتم معالجته.

وتتفاقم مشاعر الذنب القوية وتتطور ليصاحبها تعدى وانتهاك للمناهى *Taboos* وهى قيود وموانع ضد أعمال معينة ودائماً ما يكون لهذه المحرمات سمة أخلاقية واجتماعية وتكون مرتبطة عادة بالمبادئ الدينية ، وانتهاك وكسر هذه المناهى يتبعه استنكار ورفض قاس وهكذا ينتج عنه الشعور بالذنب.

ومن الضرورى أن نميز بين الأنواع المختلفة للذنب، ذلك الذنب الناتج عن الخطية «الذنب الواقعى» و «الذنب الكاذب» حتى لا يكون المعترف مرائى **ὑποκριτὴσ**

وللإجابة على هذا السؤال نستعين بكتابات بول تورينر *Paul Tournier* فى كتابه «الذنب والنعمة *Guilt and Grace*» عندما تناول الذنب الذى نشعر به كلنا لأننا لا نعيش بحسب توقعات الآخرين، والشعور الذى يخالج كل إنسان ليس لأجل الشر الذى ارتكبه بل لأجل الخير الذى لم يصنعه.

ومثل هذا الشعور بالذنب يمكن أن يوصل الإنسان لأقصى درجات نقد الذات *Self Criticism* لأنه يتضمن عدم مصداقية الشخص مع نفسه ويؤكد تورينر أيضاً على الفرق بين الذنب الحقيقى والذنب الكاذب.

ويأخذ هذا الفرق بين الذنب الحقيقى والكاذب أشكالاً عديدة فى الأدب النفسى ، فبالنسبة لفرويد، يرى أن مشاعر الذنب هى نتيجة لقيود وضغوط اجتماعية، فمثلاً عندما يُوَبّخ الأطفال ويُعَنّفوا، يشعروا بالخوف

من فقدان محبة والديهم، ورغم أن هذا المبدأ الأساسى مقبول بصفة عامة، إلا أن مضمونه أخذ تفسيرات عديدة متنوعة، فبالنسبة لأودير *Odier* على سبيل المثال، يميز بين الذنب الوظيفى *Functional guilt* وذنب القيمة *value guilt*، ويرى أن الأول يحدث نتيجة للتوقعات الاجتماعية، ومن الخوف من فقدان محبة الآخرين وقبولهم، أما الثانى أى ذنب القيمة، فهو وعى المرء وإدراكه أنه قد انتهك مستوى أخلاقى معين، أو إنه قد خان وخدع إيمانه واعتقاده الداخلى.إذ أن الخطايا التى كانت قبلاً محبوبة تصير مرفوضة وغريبة ولابد من طرحها بعيداً عن النفس، حتى تحقق فى داخلها صورة الحقيقة أو ظل **ἀποσκίασμα** تلك الحقيقة، تسعى نحو إدراك **κατα λαμβὰνειν** محبة ورحمة ربنا.

ويشرح تورنير أن الذنب الوظيفى هو طبيعى فى الأطفال ولكنه قد يستمر حتى مرحلة متقدمة فى العُصابيين *Neurotics* وبالنسبة لأودير، الذنب الوظيفى متماثل مع الذنب العُصابى *Neurotic guilt* أو الذنب الكاذب.

إذاً ذنب القيمة هو «الذنب الحقيقى» وبالنسبة لجنج *Jung* يأتى الذنب الوظيفى كنتيجة لرفضنا قبول أنفسنا بصورة كاملة، أما أدلر **Adler**، فيرى أن الذنب الوظيفى ينتج من رفضنا قبول دونيتنا *Our inferiority*.

وليس من المتاح دوماً أن نميز بين أنواع الذنب المختلفة بحسب أصلها كما أسلفنا، وعلى أية حال، يؤكد علم النفس والتحليل النفسى أن الإنسان لا يمكنه أن يتحرر من مشاعر الذنب إلا عن طريق جلب واستدعاء بعض الخبرات التى تصحب هذه المشاعر إلى مستوى الشعور الواعى *the conscious level*، ويعد أمراً حاسماً وأساسياً أن الشخص لابد أن يقبل

هذه الخبرات المؤلمة مدركاً أنها خبراته هو الشخصية، وأن يريد ويرغب فى مواجهة تبعاتها ومتضمناتها.

والاحتفاظ بهذه الخبرات مكبوتة ومقموعة فى اللاشعور يسبب المشكلة، وهكذا تحت إرشاد الطبيب المعالج، يستطيع الشخص أن يعترف بالأفكار والمشاعر التى كان غير واعيًا بها تماماً، أو كان يخجل خجلاً عميقاً منها لسبب ما، وبهذا المعنى وهذه الرؤية ، يعمل المعالج النفسى كأب اعتراف، ويقبل خبرات المريض دون إدانة لها أو حكم عليها.

وسر الاعتراف المقدس يمكن أن يتضمن أيضاً الإقرار بالأفكار والأفعال التى كبتت وقمعت قبلاً بسبب الخوف أو الخجل، ومن المفيد جداً للكاهن فى خدمته كأب اعتراف أن يفهم ويعى المنظورات السيكولوچية لطبيعة الذات وأصول الشعور بالذنب وآثار القمع والكبت،لذلك ستناقش فى الفصل التالى دور أب الاعتراف وكيف يمكن أن تُفهم تأثيرات هذا الدور من منظور سيكولوچى.

لأن المسيح إلهنا الطبيب الشافى يسكن ويستريح فى النفوس السوية المحمولة على ذراعى مريح التعابى. وهو لا يكف عن العمل لخيرنا ولخلاصنا حتى لا نجلب عار الموت على أنفسنا بسبب سوء استعمال الإرادة الحرة التى خلقنا بها. لكنه يرحمنا ويرقى لضعفنا ويقبلنا مهما كانت رداءة حالتنا ، مادمنا نتجاوب لمحبته، ساعين للقداسة فى العمل نحو حياة أفضل وأرقى، حسب صورة العنصر الإلهى وهيئته الروحية التى تتميز بتجديد المعرفة ومجمل الفضائل فى كل شئ حسن. لأن كثيرين يدعون κλητοί وقليلين ينتخبون ἐκλεκτοί (مت١٢ : ١٤)



الفصل الثانى

فعل الاعتراف

The Act of Confession

إن الاعتراف فى الكنيسة الأرثوذكسية «سر مقدس» يلى ويلازم التوبة ويقود إلى الغفران والحل، فعندما يعى الشخص خطاياه ويعرفها، يشعر بالذنب بسبب هذه الخطايا وبتأثيرها على علاقته مع الله ومع الآخرين، محتاجاً أن يعترف بهذه الخطايا لأب كاهن مُعطى له سلطان كى يسمعها، ووجود شعور بالثقة والقبول بين التائب وأب الاعتراف يساعد المعترف ويمكنه من التغلب على الذنب المكبوت داخله وعلى الاعتراف بخطيته والإقرار بها. (معترفين بخطاياهم) (مت ٣ :٦، يع ٥ : ١٦)

وعندما يصير الله حقيقة وواقع فى حياة الإنسان المسيحى، عندئذ يصبح الإنسان واعياً بأهمية الاعتراف لأجل الحفاظ على شركته وعلاقته مع الله، وهكذا تتيح الكنيسة الفرصة للإنسان المسيحى ليعالج ذنبه وليتقوى ويتشدد بإرشاد أب اعترافه ونصيحته، وكما يقول هلم *Hulm*: «الاعتراف هو جزء من عملية الإرشاد فيه يطلق طالب الإرشاد عن طريق التعبير عن النفس كل المشاعر المدمرة الكائنة داخله». «هدم وبناء قلع وغرس حرث وزرع»

ومن المعروف أن الاعتراف له تأثير تطهيرى تفريغى *cathartic* وكلمة طهارة تعنى باليونانية Καθαρτικον والتى تعنى «أن تنظف وتفرغ *to clean out*» وبهذا المعنى يصير الاعتراف تنظيف النفس وتفريغها من المشاعر المضطربة المتعبة ومن أحاسيس الذنب والخطية «كنس النفس».

وكلما دقق المعترف بأمانة فى اعترافه، كلما شفى من الذنوب ونال البرء والشفاء، واستعاد شركته مع الله... ولكن من منظور علم النفس كيف يتم ذلك؟

يؤكد علم النفس دوماً على قيمة الشعور بالارتياح الذى يحسه الإنسان عندما يروى الخبرات التى مر بها، وأهمية ذلك فى شفاء الاضطرابات النفسية، وجزء كبير من العلاج النفسى الحديث مبنى على أساس أن مناقشة الذكريات المكبوتة أو الخبرات المقموعة، يمنح الشخص انطلاقه تحرره من تأثير هذه المكبوتات السلبية .

وظاهرة الارتياح من مشاعر الشعور بالذنب والذكريات المقلقة المتعبة والتخلص منها هى عملية شعورية معروفة باسم «التنفيس *Abreaction*» وسواء كان ذلك يتم فى العلاج النفسى أو فى سر الاعتراف، فهو يحدث عن طريق عملية النقل *The Process of Transference*، إذ أن المريض أو التائب ينقل شعوره بالعداونية والألم إلى الطبيب أو إلى أب الاعتراف ، وبهذه الطريقة يصير الشخص أكثر وعياً بالصراع الذى سبب له الذنب أو المشكلة أوالمخالفة.

وكان سيجموند فرويد أول من ناقش ظاهرة النقل، إذ لاحظ أن هناك ارتباطًا سريًا ينشأ بين المريض والمعالج النفسى فى عملية العلاج، ولاحظ أيضا أن المرضى يتعاملون ويتفاعلون مع الطبيب النفسى تماماً مثلماً كانوا يتعاملون ويتفاعلون مع والديهم فى الفترات المبكرة من حياتهم، ويعطى المرضى ثقة هائلة للطبيب الذى يصير مصدراً للمساندة والتدعيم.

وعندما يتم النقل، لابد أن يجد الطبيب الوسائل والطرق التى يساعد بها المريض ليعى ويتفهم العلاقة الحقيقية بينه وبين المعالج، إذ لابد أن ينتقل



المريض من الارتباط اللاشعورى بالطبيب إلى علاقة مبنية على الواقع، وإلى ارتباط مبنى على علاقة واقعية من الثقة والاتفاق بينهما، ولابد أيضًا من إيجاد السبل المناسبة لإنماء الثقة بالنفس عند المريض، ولا يمكن أن يتم هذا إلا فى جو من الحب والقبول المتبادل وهذا يتطلب من المعالج والمريض أن يكونا واضحين محددين فيما يمكن أن يقدم كل منهما للآخر، وفى تحديد مسئوليات كلاهما.

وبالمثل عملية النقل والاهتمام بإنماء الثقة بالنفس عند المريض تحدث غالبًا بين المعترف وأب الاعتراف، خاصة إذا كانت علاقتهما قائمة لفترة طويلة، وهنا لابد أن يعى الكاهن الموقف، إذ عن طريق عملية النقل هذه، يعطى المعترف ثقه فى أب اعترافه معتبراً إياه الوحيد الذى يستطيع مساعدته، أو الشخص الوحيد الذى لديه إجابات وحلول له، ومن هنا كانت أهمية الفهم الصحيح لعملية النقل فى مساعدة الأب الكاهن على إتمام هذه العملية بطريقة صحيحة وسليمة، فالذين يجاهدون بقوة فى الميدان هم وحدهم الذين يكللون.

وتختلف عملية الاعتراف عن العلاج النفسى، ذلك أن الاهتمام الأول فى الاعتراف ينصب على علاقة المعترف بالله وليس بأب الاعتراف إلا أنه ليس هناك إنكار للتأثيرات الحسنة لعملية التنفيس التى تتم فى الاعتراف.

حيث يبدأ الاعتراف بالتوبة والتى تتضمن تحمل المرء لمسئوليته الشخصية تجاه خطاياه وتغيير اتجاهاته وأهدافه، فالتوبة «الميطانيا» هى تغيير للنية والقصد جذريًا، ويليها الاعتراف، وينتج عن هذا الأخير تحرر تفريغى تطهيرى *Cathartic release* وهو قوة جبارة للغاية بفعل إلهى لعمل روح الله القدوس. فالتائب المعترف تراه الكنيسة قابل «لمعجزة» غفران

خطاياه مجانًا من قبل الله، وبمقدار ما يقبل عمل الله المعجزى بمقدار ما ينزاح عن كاهله ثقل الماضى ونيره غير المحتمل.

وقد تحدث إيرك برجرين *Erik Berggren* باستفاضة عن الأثر التطهيرى التفريغى للاعتراف مقارناً بين ما يحدث فى سر الاعتراف وبين خبرة المريض فى التحليل النفسى، ولاحظ أن هناك تشابهات كبيرة بين الإثنين، ويشرح أن عملية التنفيس *Abreaction* تخلص الإنسان وتريحه من توتر ناتج عن كبت خبرات أو ذكريات معينة فى شعوره، وبالمثل كثيرًا ما ينال المعترف راحة من التوتر الحادث داخله والناتج عن تذكره لخطاياه، وهكذا يعطى الاعتراف للإنسان إمكانية أن يحرر نفسه من مشاعر الندم عما فعله واثقا فى أن الله ينتظر رجوعه ويقبله ويتحنن عليه ولا يخرجه خارجاً.

ويشير برجرين إلى فرق هام بين الاعتراف والعلاج النفسى، فالمريض فى العلاج النفسى يسترجع خبرات مؤلمة ويحضرها إلى الشعور بمساعدة الطبيب، بينما المعترف لا يتعامل فقط مع أفعال محددة ارتكبها بل أيضًا مع مشاعر اللوم والتى يمكن أن تتطور وتنمو كلما أصبح الشخص أكثر وعيًا بالمدلولات والقيم الروحية لتصرفاته وأعماله، وبخبرة العبادة وبإرشاد الكنيسة، يبلغ المسيحى إلى إدراك ووعى جديد بأنه قد ارتكب خطايا، لابد أن يعترف بها.«الأفكار/ النيات/ الخفيات/ الظاهرات / الإرادية/ غير الإرادية».

هناك مفهوم سيكولوچى أخر مرتبط بشدة بعملية النقل فى الاعتراف والعلاج النفسى، ألا وهو مفهوم التجميع، ففى علم النفس، التجميع هو العملية التى بها يستطيع الإنسان أن يعيد تجميع العناصر المتفرقة فى نفسه وهكذا يتحقق نوع من الوحدة والهارمونية العقلية، والأشخاص العصابيون

يكونون غالبًا غير قادرين على تجميع عناصر معينة من خبراتهم فى كُل متناسق، ويظلون ثابتين مركزين على خبرات ومخاوف أو آلام معينة ولا يستطيعون أن ينتزعوا أنفسهم منها، ويمكن للطبيب أن يساعد المريض ليكتشف ويعرف هذه العناصر، وأن يتخلص من التوتر المتزايد وسط حجم عريض من الأحداث السيئة والمخاوف السلبية (خطايا الجسد وخطايا الجهالات والتهاون وحدوث عملية إعادة التجميع *Reassociation* فى سر الاعتراف أو عدم حدوثه يعتمد على رغبة المعترف (دقته وأمانته ووعيه) فى امتحان مشاعره واختبارها وعلى طبيعة العلاقة بين المعترف وأب الاعتراف، ومن الواضح أن جو الاعتراف ومناخه يقدم فرصة نافعة لفحص النفس يمكن أن تقود الشخص إلى إعادة التجميع وإلى نظرات جديدة نحو دوافعه الشخصية. لتتناسق وتتوافق وتتكامل الشخصية فى توجيه قواها نحو غرض واحد يوحد «القلب والفكر والنفس والقدرة» من دون إنقسام ولا انفصام ولا تشتت ولا صراع.

وعند مناقشة النتائج الإيجابية الطيبة التى يمكن الحصول عليها فى العلاج النفسى أو فى الاعتراف، فإنه من المفترض أن المريض أو المعترف يختار بحريته وإرادته أن يأتى ويتقدم بنفسه إلى عملية فحص الذات بإخلاص وصدق، وأن يكون صادقاً فى الكشف عن خبراته، ولكن الأمر لا يكون هكذا دائماً، إذ من الممكن أن يكون عند الشخص مخاوف عميقة من كشف الذات، وهكذا فإن درجة شعور الشخص بالتفريغ التطهيرى وزيادة فهمه ومعرفته لنفسه تعتمد على ما يقدمه هو نفسه إلى العملية العلاجية. لينجى حاله من الأفكار الباطلة **μάταιοι** التجارب وفخاخ الشهوات الغبية والمضرة التى تغرقه فى العطب والهلاك (١تى ٦ : ٩).

كما تعتمد نتائج الاعتراف أو العلاج النفسى أيضًا على شخصية أب الاعتراف أو الطبيب، وعلى العلاقة التى يمكن أن تنمو بينهما وبين من يحتاج إليهما، والأدب النفسى ثرى للغاية فى دراسة العلاقة بين الطبيب والمريض، وسوف نتحدث هنا عن بعض السمات المطلوبة لتوفير مناخ مناسب يساعد على الوصول لنتائج طيبة، ومما لاشك فيه أن لشخصية وتصرفات الكاهن المعالج تأثيراً قاطعاً وحاسماً خاصة إذا كان هناك خبرات ماضية للمريض أو المعترف مطلوب تجميعها وصراعات داخلية يجب أن تُنهى وتُحل .ضمن نعمة الحدس *Intuition* والالهام والفطنة الروحية التى يتطلب من الكاهن اقتنائها .

يؤكد چنج *G.G.Jung* على أهمية الدور الأساسى الذى يلعبه المعالج فى إراحة وتهدئة الاضطراب الحادث عند المريض بسبب ذكرياته *inspiration* المتعبة، كما أكد على ضرورة أن يكون المعالج قادراً على بناء الثقة بالنفس لدى المريض حتى يستطيع دفع عجلة العلاج إلى الأمام.

وفى نظريات علم النفس والعلاج النفسى التقليدى، لابد أن يقدم الطبيب المعالج نفسه كشخص صاحب سلطان وقادر على تقديم خبرة متخصصة ليساعد المريض على حل مشاكله الشخصية، وبالطبع يتوقع المريض من الطبيب أن يلعب ذلك الدور وغالباً ما تنشأ اعتماديات على الأطباء والمعالجين.

وإحدى سمات الطبيب هى القدرة على إنماء شعور الثقة بالنفس عند المريض، وهذا يعنى أن الطبيب لابد أن يكون صريحاً وأميناً وواضحاً فى تعامله مع المريض وثابتًا فى الرسائل التى ينقلها له، وهذا يتطلب درجة عالية من معرفة الذات *Self-Knowledge* .

والقدرة على إنماء الشعور بالثقة بالنفس عند المريض تتضمن أيضًا استخدام أسلوب يجعله يتكلم بحريته وإرادته، وأيًا كانت الافتراضات النظرية أو التقنيات العلاجية المستخدمة، فإن العملية العلاجية تتطلب معرفة وانفتاح بين الطبيب والمريض.

وتماماً مثل الطبيب النفسى، لا بد أن يكون لدى أب الاعتراف سلطان ففى الكنيسة الأرثوذكسية يكون أب الاعتراف هو الأب الكاهن أو الأب الأسقف، حيث تقدس الكنيسة الاعتراف كسر إلهى، ويرى المعترف فى أب الاعتراف ـ كممثل عن الكنيسة ـ أنه الشخص الذى يجب أن يعترف أمامه بخطاياه لله.

ولابد أن يتمتع أب الاعتراف بشخصية مُحبة متعاطفة وقادرة على مشاركة أولادها فى مشاعرهم، وهذا أمر أساسى وحيوى لإنماء علاقة الثقة مع المعترف، تماماً كما هو الحال مع الطبيب النفسى، ويجب أن يتضح من أسلوب أب الاعتراف وسلوكه : الصبر والوداعة والرقة والاستعداد الدائم للمساعدة، ولابد أن يكون لديه القدرة على التعاطف مع المعترف حتى يشعر أنه قد سُمع له حقًا.

وبجانب ذلك، لابد أن يكون آباء الاعتراف مستعدين لتقديم النصيحة والإرشاد الروحى وهذا يتطلب حكمة لا تأتى إلا بالإلهام والخبرة، وبهذه الطريقة يؤدى أب الاعتراف دوراً إرشاديًا أكثر مما يفعل الطبيب النفسى، وكلما ازدادت بشاعة الخطية، كلما ازدات أهمية النصيحة العطوفة والتدريبات والتشجيع المعطى للمعترف، إلا أن الكاهن هنا ليس قاضيًا ليعلن رفضه، بل هو موضع ثقة المعترف، وكوكيل لله وللكنيسة وكوسيط لنعمة الروح القدس، يهب الحل للمعترف التائب وهذه هى الأبوة الحقيقية التى تعكس أبوة الله أبو كل الأرواح.

ويؤكد الاعتراف على سلطان الكاهن كجزء من السر، وتمثل ممارسة السر فرصة لأب الاعتراف وللمعترف لكى يتشاركا فى جو من الثقة. عبر جلسة الاعتراف التى تضم ثلاثة، هم (المعترف وأب الاعتراف فى حضرة الله).

ضمن منهج الكنيسة العلاجى كدار استشفاء وميناء تجعل غصن الشوك غصن زيتون. فهى مجتمع التائبين وموضع التوبة والتجديد بفيض النعمة والرحمة، وبتمييز الخير من الشر، واقتناء «فكر المسيح» (١كو ٢ : ١٦) خلال أسرارها ونسكها ومنهج عقيدتها وتعليمها وقوانينها وروحانياتها و نماذج أيقونات إقتدائها.

فمن دون بركة التوبة والاعتراف السرائرية، لا يمكن للخاطىء أبدًا أن يبلغ نعمة الغفران أيًا كان حجم جهاداته الشخصية ومدتها. لأن الغفران الإلهى وحده هو الذى يقطع عنا الأسباب التى تسوقنا إلى الخطية ذلك الغفران السرائرى الفائق هو الذى يحول النير والرباطات المرة إلى قيامة وحرية ودالة وقبول.





الفصل الثالث

الأبعاد السيكولوچية للحل والمغفرة

Psychological Aspects of Absolution and Forgiveness

بالاعتراف ينال المرء المغفرة والحل ليحصل على الشفاء، والكاهن يخدم السر كوكيل لروح الله، وعندما يقرأ صلاة التحليل للمعترف، يقوم بدور وسيط أو وكيل الله وتُغفر الخطايا ويتم الشفاء بيد الكاهن الأعظم والأكمل. «اليد غير المنظورة»

ورغم أن علم النفس لا يتناول بصورة مباشرة مفاهيم الغفران والحل، إلا أن المفهومات السيكولوچية يمكن أن تستخدم للوصول إلى فهم أفضل للغفران والحل، ولإدراك تأثيراتهما على النفس، إذ أنهما الوسيلة التى بها يتصالح الإنسان المسيحى مع الله ومع جماعة المؤمنين، وهكذا يمثلان وسيلة يستطيع بها الإنسان أن يتخلص من تسمره وثباته عند خبرات معينة مؤلمة أو من مشاعر الذنب التى تمنع الشخصية من أن تتكامل بصورة شاملة وأن تكون كلاً واحداً متناسقاً، وبينما لا يستطيع الطبيب أن يهب الغفران للمريض، يمكنه أن يساعده ليدرك مسئوليته الشخصية عن أعماله، وهكذا يحرر نفسه ويستطيع أن يضع حداً لاختلافاته مع الآخرين ومع الله. لينقله من ربطه وقيوده.

وبالمغفرة والحل يتحرر الذهن من التوترات المؤثرة التى أوجدتها القوى المتصارعة داخل النفس، وهذا يحد من قوة وسيطرة تحكم الذات، مما يسمح لعناصر من اللاشعور أن تظهر وتلعب دوراً أكثر فاعلية تساعد الشخص أن يصل إلى الطاقات الخلاقة الكامنة داخله، وعندئذ ينال القدرة على إعادة

تجميع العناصر المتباعدة والمتناثرة داخل نفسه وصياغتها فى شكل جديد أكثر فاعلية (النفس الموحدة المتصالحة). لا «المتشرذمة المتنافرة المنقسمة»

وفى التقليد الأرثوذكسى، لابد أن يعترف المؤمنون قبل أن يتقدموا للتناول من الأسرار المقدسة، وتشجع الكنيسة أبنائها على الاعتراف بانتظام حتى يتنقوا من الخطية ويكون لهم شركة كاملة مع الكنيسة، فالاعتراف المنتظم هو الجهاد القانونى الذى به يحيا الإنسان لينتمى إلى الكنيسة جسد المسيح، متصالحاً مع نفسه ومع الآخرين ومع الله.

والحاجة إلى الاعتراف ونوال المغفرة تدل على إدراكٍ واعٍ وتقوى شخصية، ولذلك جعلته الكنيسة شرطًا أساسياً لابد أن يمارسه كلٌ أرثوذكسى يريد أن يتقدم للشركة فى النعمة الإلهية ونوال المغفرة، ولكن يجب ألا يصير الاعتراف مجرد حفاظًا على طقس أو مجرد عادة شكلية نحرص على أدائها، دون أن نعى جوهرها وقيمتها وفاعليتها، ولذلك كتب الآباء كثيرًا محذرين من هذه الاتجاهات (الممارسة الشكلية).

وبغض النظر عن أنماط الشخصيات، فإن هناك دوماً اشتياق لنوال الحل والمغفرة، ذاك الاحتياج الإنسانى داخل المسيحى الأرثوذكسى لاجل العودة إلى محبة الله ثانية، وإلى تنقية الضمير، وإلى الشعور بالشفاء مرة ثانية، وهناك اشتياق إلى التعاطف والمساعدة والإرشاد للوصول إلى ملء المحبة فى الحياة بحسب البر فى المسيح يسوع، وهناك أيضاً إحتياج أن نتحدث مع شخص آخر عما يزعجنا ويؤلمنا... هذه الحاجات والاشتياقات كلها تمثل القوة الدافعة التي تحثنا على الاعتراف وسلوك التقوى.

فالمسيح حاضر فى السر وهو غير منظور لكنه هو الذى يستقبل الاعترافات فلا نخجل ولا نخفى ولا نكتم شيئاً، بل نعلن ما فعلناه لننال

غفرانه وشفائه. أما كاهنى فهو أبى وشاهد على توبتى أمام القاضى القادر أن يحررنى من دينونتى ويشفينى من جراحاتى.

الثقة والشركة *Confidentiality and Sharing :*

تعتبر ثقة المعترف فى أب اعترافه مكونًا أساسيًا فى عملية الاعتراف الجاد، ولا بد أن يتمتع الكاهن بسلطان داخلى، ولكن ليس لجميع الآباء الكهنة القدرة على تحقيق نتائج إيجابية مع أبنائهم المعترفين. «فلن يخلص عن طريقك إلا الذى يحبك». لكننا نؤكد على أن الكاهن هو «بواب» يدخل التائب إلى حضرة الله. فى سر «إلهى / بشرى» نتقبل فيه النعمة.

وفى علاقة أب الاعتراف بالمعترف، لابد أن يستبعد الأب الكاهن أى أمر من شأنه أن يزعج أو يتعب المعترف التائب، وبحسب تعليم الكنيسة، ليس الكاهن مجرد مسيطر أو حاكم على التائب بل هو أبوه الروحى المحب، والإرادة الطيبة تجاه الشخص الذى يحتاج للتقويم تأتى دوماً بثمار أفضل من السلطان. التشجيع أفضل من التهديدات، المحبة أفضل من القوة، لذا تصير الصفات الشخصية النموذجية لأب الاعتراف، سلوكاً يسلكه الكاهن فى تصرفاته أثناء سر الاعتراف المقدس بالوقار والحزم والتضرع والانسكاب والصحو والرجاء.

وكلما ازدادت بشاعة الخطية، كلما كان من الواجب أن يكون أب الاعتراف مريحاً ومعزياً أكثر، مشجعاً التائب أن يعترف، ويجب أن يضبط الكاهن نفسه ولايبدى أى علامات للضجر أو نفاذ الصبر أو الدهشة أو الرفض إذ يجب مساعدة المعترف فى خجله.

والسمات الشخصية لأب الاعتراف هامة للغاية فى ممارسة دوره كطبيب

للنفس والروح لأنه يبحث عن أسباب الخطية، ويقدم الإرشاد والتداريب اللازمة لمعالجتها، وأيضاً النصيحة الوقائية التى تمنع تكرار سقوط التائب فيها، وتعضيده حتى لا يهلك ولكى لا يُهان الاسم الحسن بسببه.

ولكى يكون الكاهن ناجحاً كأب اعتراف، لابد أن يتصف بالقدرة على التمييز (موهبة الإفراز) وبالسريرة الطاهرة وعدم محاباة الوجوه وممارسة التعليم الصالح وأن يكتسب المهارات السيكولوچية الناضجة، إذ لابد أن يكون قادراً على تقييم وتمييز الحالة العقلية للتائب مع اتفاق الوقت الكافى لبنائه والاهتمام به من أجل نموه فى القامة والنعمة.فالقانون الروحى الواحد لايصلح للكل.

والكاهن الذى نال الكرامة والمسئولية بأن يكون أب اعتراف لابد أن يفهم ويعى كيف يسأل التائب عن خطاياه، وبالمثل لابد أن يكون صديقاً للمعترف وموضع ثقته الأبوية الروحانية، قادر على الأخذ بيده على الطريق السليم، فى كتمان التطبيب وخبرة المعالجة.

ويجب أن تنشأ بين أب الاعتراف وابنه المعترف علاقة صداقة، وعلى المعترف أن يضع ثقته فى أب اعترافه مع توقيره واحترامه، مع الحرص على ألا يتسبب التوقير والاحترام فى تقليل الثقة، فالفهم الواعى يُنجح خبرة السر.

وفضائل أب الاعتراف هى خير دليل على الاعتراف الناجح وعلى الاهتمام بالمعترف، ولابد أن يكون هناك تقارب وثقة وعلاقة تبادلية بينهما، حتى يعين الكاهن الشخص المعترف كى يكشف عن نفسه بكاملها يجاهد لأجل الكمال الروحى فى المسيح، وقد كان سر نجاح آباء الكنيسة وقديسيها كآباء اعتراف هو بذلهم لذواتهم وجهادهم حتى استطاعوا

بشخصياتهم المبنية فى المسيح يسوع أن يقتنوا الإرادة والقدرة على تقديم ذواتهم لكل من يأتيهم طالباً المعونة الروحية أو كلمة منفعة أو التحرر من خطاياهم بالاعتراف وإنذار صوت البوق.

وفى سر الاعتراف تتدخل العديد من العوامل الشخصية، فالمكونات الفعلية للصداقة والتلاقى بين الكاهن والمعترف تفترض مسبقًا وجود صفات ومقومات الثقة والاستئمان، وأيضاً فى سر الاعتراف يزداد سلطان الكاهن تأكيداً، وهذا السلطان يعطى الكاهن السمة الضروية كمعلم ومدبر وخديم للسر وكوكيل لسرائر الله، لايتكلم من ذاته ولا يخدم بذاته بل كأداة خادمة وكمن له قوة ممنوحة له من عند القدير.

رمزية الكاهن كأب اعتراف:

The Symbolism of the Priest as Father Confessor:

يحتاج التائب أن يعترف لشخص ذى سلطان فى الكنيسة، وهذا الشخص كما أسلفنا هو الكاهن، وهو بسلطانه الممنوح له من الله يهبه الحل من فم ربنا يسوع المسيح، ورغم أن الناس يريدون أن يعترفوا لله، إلا أنهم يحتاجون لأب اعتراف كوكيل لسرائر الله وصاحب سلطان الحل، حتى يأتى الاعتراف بثمار طيبة.

فعن طريق رمزية الكاهن كوسيط ووكيل لسرائر الله، تُشبَع حاجة التائب العميقة فيرتاح ويتحرر من الشعور بالذنب، وتتضح بالأكثر حاجته للجلوس مع أب الاعتراف كرمز للمغفرة فى طلبه الغفران والحل والتحرر من خطاياه والشفاء من الانكسار.

وتتباين الحاجة إلى الاعتراف وإلى التقدم للأسرار وإلى الكاهن كرمز

لسلطان الكنيسة، من شخص لآخر، فالحاجة إلى السلطان يكون لها الأولوية فى الحياة العاطفية لبعض الناس غير المتدينين وهم يخضعون لها تمامًا، وهذه ظاهرة معروفة ومنتشرة جداً بين هؤلاء الذين يعجزون عن مواجهة مشاكل الحياة وحدهم *Psychasthenic*، وهذا الاحتياج للخضوع تحت قيادة وتدبير شخص آخر والموجود فى الطفولة كما يخبرنا علماء النفس، يمثل جزء من حياتنا الشعورية العادية، وغريزة الخضوع *Instinct of Submission* هذه تعنى رغبة الإنسان وميله لأن يضع نفسه تحت قيادة سلطان ما.

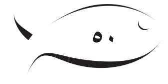
ومن الواضح ـ وهى حقيقة أيضاً ـ أن المعترف يشعر برغبة عميقة وباحتياج لأن يتقابل مع هذا السلطان ويجده فى شخص أب الاعتراف، ويتمثل سلطان أب الاعتراف فى قدرته على إراحة التائب من خطيته وتحريره منها بالغفران والحل، كما أن له أيضًا القدرة على تقديم التعليم الكنسى المشجع الإيجابى للتائب، الذى من خلاله يتعلم أن نعمة الله تسند وتقوّم وتصلح وتقيم التائب من سقطته وخطيته، بل إن السبب الأول وراء نوال أب الاعتراف ثقة المعترف هو أنه يقدم له ضماناً وتأكيداً لقيامته وتحرره من خطيته وتركه لسيرته القديمة، ونعمة الفرح لكل خاطىء يتوب أكثر من تسعة وتسعين لا يحتاجون للتوبة.

وهكذا، فى سر الاعتراف يؤدى أب الاعتراف دورين :

الأول: ينبع من سلطانه المعطى له بنعمة الكهنوت.

والثانى: هو قدرته الشخصية على الإرشاد الروحى وتقديم المحبة والصداقة الأبوية للمعترف. لان الذى لا تُحتضن توبته يسلم إلى السباع الأعداء.

وبحسب علم النفس وتعليم الكنيسة المقدسة، فإن لثقة التائب فى سر الاعتراف ـ كتأسيس وترتيب إلهى ـ أثراً علاجياً فعالاً، ويلازم الحاجة



إلى أب الاعتراف دوماً رغبة فى الوثوق فى شخص آخر وجعله موضع ثقة المعترف.

إن المعترفين يحتاجون إلى فهم وتعاطف وتفاعل واهتمام ورعاية ورجاء غفران، فثقتهم الكاملة التى يضعونها فى الكاهن إنما هى تسليم صادق لشخص المسيح رئيس كهنة الخيرات العتيدة وعلاجات لشفاء الكيان من لسعة الحية وجراحاتها، بأدوية ميراث الإيمان الصالح، والاقتراب من المسيح النموذج الأصلى للإنسان ... حيث أنه صورة الصورة، صورة المسيح الذى هو صورة الله غير المنظورة (كو ١ : ١٥).

وأتت أهمية الكاهن ورمزيته باعتبار أن التدبير الروحى المتقن، بلغة الآباء هو كيفية بناء الحياة الروحية بالمشورات والتوصيات والتحذيرات، من أجل المراجعة والضبط والتجديد لحياة المعترف، فى انشغاله واهتمامه وانفعاله وانجذابه. لحراستها بالأسلحة الروحية ضد الشهوات الفاسدة والأدوات البراقة وكل إفرازات الشر.





الفصل الرابع

الاعتراف وسيلة للتغيير

Conversion Through Confession

إن الاعتراف يحدث تغييراً فى القلب (ميطانيا) *lletavla* فهو ميلاد جديد به يكف الإنسان عن كونه مجرد جهاز سيكولوچى أو ذات منقسمة بل يصير كائن منجمع القوى وله توجهه المحدد بوصلته تحت إرشاد مجموعة من الأهداف والوصايا المتوافقة والمتناسبة بانسجام من أجل النمو والشفاء.

وتعتمد نتائج الاعتراف على إيمان المعترف، وتكون ثماره خبرة روحية عميقة للغاية، ويقول القديس ماراسحق السريانى : «ادخل إلى منزلك وخزانتك الباطنية وسوف تبصر كنوز السماء».

وفى ممارسة سر الاعتراف، يضع المعترف نفسه تحت عينى الله ورؤيته ويحدد الطريقة التى سيحيا بحسبها فى حياته المستقبلية، وهنا نشير إلى أنه لابد أن ينظر إلى هذا التغيير كعمل شعورى واعى، فيه تقدم الإرادة البشرية كل رغبتها واشتياقها للجهاد لأجل الكمال، وأثناء هذا العمل الشعورى الواعى، يشعر المعترف بتحرره من قيود خطاياه وآثامه، لأن من يعرف خزيه يعرف كيف يطلب النعمة، والذى يبصر نفسه جيداً أفضل من الذى يبصر الملائكة.

وهناك مثلان رائعان فى العهد الجديد يوضحان التغير والتحول عن طريق الخطية :

١) قصة المرأة الخاطىءة فى بيت الفريسى (لو ٧: ٣٧ - ٥٠).

٢) مثل الابن الضال (لو ١٥ : ١١ - ٣٢).



ففى قصة المرأة الخاطىءة نجد أقصى حدود الغفران والتحول كما وهبه لنا السيد المسيح، ويتضح لنا كيف أن الندم على الخطايا والجهاد ضد فعل الخطية هما صفتان أصيلتان لتكامل الشخصية وللغفران، وتتم عملية التحول هذه فى الاعتراف الذى يتلامس فيه التائب الصادق مع الله الذى دشن التوبة كأمر إلهى للتقويم ولغرس ثمرة خلاص النفس.

وقد أقر الكثير من علماء النفس حقيقة أن الاعتراف له نتائجه وثماره المفيدة جداً للإنسان، فنعمة الاعتراف فى الكنيسة هى راحة وتعزية للمصابين بالقلق والإحباط اعترافًا يطفئ عنا نار جهنم، موضوع لنا كعون محفوظ من بعد متاريس المعمودية ضد الجحيم.

وفى منهج (چنج) فى العلاج النفسى، يلعب المعالج دور الوسيط بين شعور المريض ولا شعوره، إذ أكد كل من (فرويد وچنج) على أن ذلك هو العلاج الأساسى الفعال، والذى يقدمه المعالج للمريض بهدف تعليمى علاجى.

وفى قول سقراط الفيلسوف اليونانى نجد نظرة هامة إلى الطرق التى بها نفهم أنفسنا إذ قال «اعرف نفسك *Know Yourself*» فعلى الإنسان أن يدلف إلى أعماق النفس الداخلية ليجد ذاته، وذلك الفهم والمعرفة للذات يأتى من خبرة الإنسان مع ذاته، مع الآخرين، ومع الله، وهذا هو الهدف النهائى من الاعتراف، والذى يتبعه تحرر داخلى، وهكذا يحدث التحول نحو المسيح، ويعى المعترف أن توجيه الأخلاق والفضائل أمر أساسى لنموه الشخصى وثباته فى المسيح، كدرجات السلم.

وهناك العديد من الأسباب للحماس الهائل الذى يشعر به التائب بعد الاعتراف، الذى يسمح بتحول وتغيير جديد، وبعض علماء النفس يجلّون

سر الاعتراف ويحترمونه للغاية لما له من تأثير علاجى هائل، وهنا لابد أن نشير إلى أن قدرة الاعتراف على إحداث شعور بالتحول نحو المسيح والتغير إنما هى بسبب ما يحدثه من توحيد وتجميع لكل القوى والأهواء وشهوات العالم فى أصولها المركبة ودوراتها المتتابعة المتصارعة والمتعارضة فى شخصية المعترف τὰ πὰθη .

فالاعتراف يستطيع أن يغير قلب الإنسان ويسهم فى توحيد قوى الشخصية مُسهلاً عملية الشفاء والتحول والتغيير، وهذه الخبرة الروحية تثبت دوماً أنها فعل تكريس عميق يسهم فى التشكيل الكامل لشخصية المعترف ووحدتها وتعضيده لينتقل من سيرته عائدًا إلى بيت أبيه (كنيسته) ليلبس الحلة الملوكية (لباس المعمودية) ويلمع بختم الميرون علامة الضمانة والملكية ويتقدم إلى الوليمة الافخارستية للثبات والخلاص وغفران الخطايا ونوال الحياة الأبدية والإمساك بها.

بعد أن تكنس السقطات وتمسح وتطرح خارجاً، ليكون البيت نظيفاً معداً لحضور العطايا السماوية، فى عهد وتعهد حدده الرب كثمن لنوال المغفرة.. حيث ارتأى الرب أن يكون رد الدين لأجل التحرر من العقوبة بهذه المقايضة المكافئة التى هى التوبة والاعتراف...

فإن كان الباعة يفحصون العملة التى بها يعقدون صفقاتهم أولاً ليروا إذا ما كانت مقطوعة أو ممسوحة أو مزيفة، فنحن نؤمن بأن الله يختبر توبتنا واعتراف أمانتنا ليهبنا السلعة الثمينة.



الفصل الخامس

الاعتراف : اكتشاف اللاشعور

Confession: An Exploration of The Unconscious

لقد حاولنا فى الفصول السابقة أن ندرس الاعتراف ونفحص مفهوماته النفسية، وسوف نحاول هنا أن نكتشف الطريق لكشف وإطلاق الخبرات والاعترافات المكبوتة فى اللاشعور، فبجانب دراسة الاعتراف لابد أيضًا من اكتشاف ودراسة اللاشعور لأن ذلك سوف يحدد المناطق المختلفة فى الشخصية والتى تحتاج أن ننظر إليها من منظور كلى والشخصية بجملتها) .

وقد كان «سيجموند فرويد *Sigmund Freud*»، «وكارل چنج *Carl G.Jung*» من أعظم علماء النفس الذين اكتشفوا اللاشعور وكتبوا عنه، وقد وصف فرويد اللاشعور بأنه ذلك الجزء من الإنسان حيث تختزن الخبرات المؤلمة أو السيئة، وكبت مثل هذه المشاعر والأحاسيس فى اللاشعور تنعكس آثاره على الشعور بطرق عديدة، وكان فرويد هو أول من نادى بأن العُصاب يمكن علاجه عن طريق تفريغ المشاعر المكبوتة .

أما «كارل چنج» فقد رأى أن اللاشعور هو أوسع وأكبر من أن يشمل فقط المشاعر المكبوتة، وكانت هذه هى نقطة الخلاف بينه وبين فرويد .

وكانت نظرية چنج السيكولوچية تقول أن هناك محتويات كثيرة فى اللاشعور ولا يمكن أبداً تفريغها بعملية التحليل النفسى فقط، وبعض هذه المحتويات النفسية الموجودة فى اللاشعور تتضمن : الشعور بالألم، الخبرات السيئة، الذكريات، تغيرات الشخصية، الأحلام الدوافع ولهذه جميعها تأثيراتها المختلفة على النزعة الدينية عند الفرد ومن ثم على تكوينه الروحى .

وبعد سنوات طويلة من الدراسة والبحث أعلن (چنج) أن اللاشعور يتكون من جانبين : الأول يتضمن المشاعر الحقيقية، والثانى يتضمن المشاعر الغير حقيقية.

ويتكون الجانب الشخصى من اللاشعور، من الذكريات والخبرات والمشاعر المكبوتة، ويفسح هذا الجزء الطريق لإحداث مشاعر الدونية عند الشخص، وهذا يدلل على أن جانب اللاشعورى من النفس يطفو إلى سطح الحالة الشعورية الواعية.

وبُعد أخر هام من أبعاد الشخصية الإنسانية هو التفرد *Individua-tion*، وهو العملية التى بها نحاول عن طريق أكتشاف محتويات ومضامين اللاشعور أن نعرف كل جوانب وأقسام أنفسنا وذواتنا وأن نوفق فيما بينها، ويصف (چنج) عملية التفرد بأنها عملية اجتماعية، فبالتفرد لا يعود الشخص بعد أنانى بل يصير عضواً فى جماعة وجموعية، ولابد أن نذكر هنا أن التفرد عملية تلقائية وطبيعية داخل النفس.إذ أن التفرد لابد أن تتبعه الموائمة والتكيف الاجتماعى.

وفى نمو الشخص فى سنى حياته الأولى، يكون هناك وعى بالشعور ينشأ من خلال الاتصال مع البيئة، فمنذ الطفولة نتعلم ما هو صالح وما هو ردئ، ما هو مسموح لنا أن نفعله وما هو ممنوع، وجميعنا نتذكر أوقات فى طفولتنا فعلنا فيها أشياء كان يجب ألا نفعلها، وعندما كنا نفعل شيئاً خطأً، نعرف أننا سنُعاقب إذا ضُبطنا، ولو ضُبطنا، نتذكر كيف كنا نحاول أن نخفى ما فعلناه بنوع من البراءة، وهذا الإخفاء أو القناع هو ما يسميه (چنج) باسم «البرسونا *The Persona*» وهذه عملية نحاول بها أن نخفى لا شعورنا ونكبت شخصياتنا، وهى تتم بجملتها لاشعوريًا.

وقد حددت مدرسة «چنج» السيكولوچية أقسام تطور ونمو النفس كالآتى :

١) الأنا أو الذات (الإيجو) *Ego -I - Self* .

٢) البرسونا *Persona* وهو القناع المستخدم لإخفاء الأمور المكبوتة أو المقموعة.

٣) الظل *Shadow* وهو جزء منا مخفى ومخزون عميقاً فى لاشعورنا لأننا نشعر أنه من المستحيل أن نكشفه، ويمكن أن ينسى الشخص الظل، ومع ذلك يكون ملحوظاً من الآخرين.

ففى اللاشعور نوجد عملية تُعرف باسم «الظل *Shadow*» وفيها نقوم بتخزين جميع الصفات التى نصنفها نحن لا شعوريًا بأنها غير مقبولة.

ويعطى الشعور للشخص القدرة على التمييز بين الجوانب المختلفة للشخصية وللمشاعر. وعلى أية حال هناك أمثلة ومواقف عندما يحدث فيها شئ مؤلم لدرجة يصعب معها احتماله، تُرفض هذه المشاعر وتُدفن فى اللاشعور.

وكشف خطايا وآلام الشخص المخفية والمظلمة فى سر الاعتراف هو أيضاً تصدى ومواجهة بين الشخص وظله، لأن ذلك الظل القاتم داخل اللاشعور هو الذى يختزن كل أحزاننا ومخاوفنا وشعورنا بالذنب وصغر النفس، وقد لاحظ «چاكوبى *Jacobi*» أنه حتى الصفات الشخصية الحلوة والإيجابية تكبت، وهو يشير إلى ذلك باسم «الظل الفاتح *Light Shad-ow*»... وبصفة عامة، الظل هو ذاك الجزء من ذواتنا الذى لا يعبر عنه، ولا يُنفس عنه بسبب الإنكار والرفض اللاشعورى له، وعندما يدرك المرء

ويقبل أنه خاطىء، عندئذ يبدأ بذلك الإدراك فى التصدى ومواجهته بالتوبة والتغيير وما سمى «بالحزن المضئ» فى اقتناع روحى للسلوك حسب الوصية ونير التدبير تحت ارشاد الكاهن كوصى صالح.

ولن يمكننا أن نرى ظلنا إلا إذا فحصنا شخصياتنا بأمانة كاملة، ودون إنكار أو رفض للظل، إذ برفضه نكبت شخصياتنا الحقيقية لا شعورياً ونقيدها.

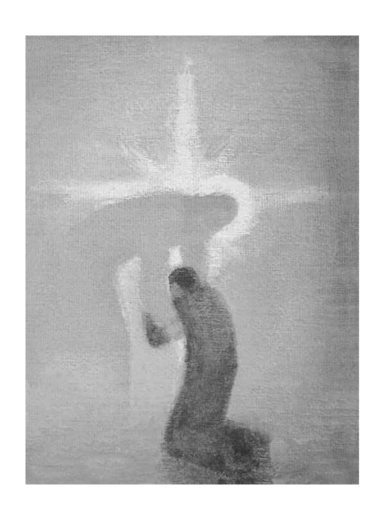
كذلك الظل ليس فقط قاتماً أو فاتحاً أو سلبياً، ففى العديد من الأمثلة يمكن أن يكون الظل هو ذلك الجزء غير المكتشف من شخصية المرء، ويمكن أن يتضمن صفات الحب والعطف التام.

وبحسب «هاردينج *Harding*»، إذا لم يتم التعرف على الظل، ولم يراع ولم يجد اهتماماً به، فإن الشر يمكن أن يتدخل ويتغلغل داخل اللاشعور الشخصى ويفسد الظل، ومن هنا كان لجلسة الاعتراف بين الكاهن والمعترف أهميتها فى أكتشاف الظل وتصوراته «كشف الافكار». لفحصها وكشفها أمام الله، من غير مراوغة أو أعذار وتبريرات مصطنعة.

لذلك هناك ضرورة موضوعة علينا أن نتعرف على ظلنا، وهذه الضرورة إنما هى نتيجة طبيعية لوجود الظل فعلاً، ولا يمكننا أن نتخلص من ذلك الجزء من النفس بأن نقمعه أو نكبته، تماماً كما أنه لا يمكننا أن نتخلص من الجسد بأن نتجاهله، وهذا التعرف على الظل يتم فى سر الاعتراف «هدم لمح الفكر». والإصغاء لصوت التأنيب الداخلى، مثلما يقول الرسول بولس (ولكن الكل إذا توبخ يظهر بالنور. لأن كل ما أظهر فهو نور) (أف ٥ : ١٣).

إن الإنسان يحتاج إلى شجاعة ليمارس سر الاعتراف، ولابد أن يعلن أفكاره ويقر بها، فما إن يبدأ الشخص يعرف ظله وينظر إلى خطاياه ويندم عليها متألماً منها فى «حزن مضئ»، حتى يتصالح مع الله ثانية، وكلما كان الإنسان مدركاً لحاجته للاعترف، كلما جاءت النتائج بشخصية أكثر صحة وسائرة نحو الكمال المسيحى متطلعة إلى ما هو أفضل فى عشرتها مع الله.

وتعلمنا الكنيسة الأرثوذكسية أن أحداً لا يستطيع أن يفعل ذلك وحده بل بمعونة ونعمة ربنا التى تأتى لنا من خلال الكنيسة، فالكاهن فى سر الاعتراف كما أسلفنا يخدم كوكيل سرائر الله «كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطًا فى السماء وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السماء (مت ١٨ : ١٨)». فما يعلنه ويعمله كهنة الله تحت على الأرض يثبته الله فوق ويؤيد السيد رأى وكلائه... لتفرح السماء بخاطىء يتوب وينفذ النور الإلهى برباط الروح القدس للمصالحة ومحو خطايانا كغيمة بسلطان السر الكنسى، «دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية» (١يو ١ : ٧).





الفصل السادس

دور الكاهن كخديم لسر الاعتراف وكمعالج للمعترف

إن دور الكاهن فى الاعتراف يتضح تماماً فى طقس السر حسبما ورد فى مثل الخروف الضال كما نقرأه فى إنجيل معلمنا لوقا البشير :

«فكلمهم بهذا المثل قائلاً : أي إنسان منكم له مئة خروف وأضاع واحداً منها ألا يترك التسعة والتسعين فى البرية ويذهب لأجل الضال حتى يجده ، وإذا وجده يضعه على منكبيه فرحاً ويأتى إلى بيته ويدعو الأصدقاء والجيران قائلاً لهم افرحوا معى لأنى وجدت خروفى الضال ، أقول لكم أنه هكذا يكون فرح فى السماء بخاطىء واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى التوبة» (لو ١٥ : ٣ - ٧) .

لقد أعطى السيد المسيح لرسله وللآباء الكهنة مهمة استعادة التكامل فى الناس ، فلابد أن نواجه جميعنا الظل القاتم وأن نتوب ، وفى مثل الخروف الضال ، نجد أن الانتباه الفورى معطى للخروف الضال ، إذ أن كل شخص يمكنه أن يمر بعملية التفرد *Individuation Process* ، وهذا هو الطريق لنوال الغفران فى سر الاعتراف .

فى ذلك المثل ، الراعى هو «الأنا الإيجو» والتسعة والتسعون خروفاً هى البرسونا ، والخروف الضال هو الظل .

والبرسونا المقدمة هنا فى صورة التسعة والتسعين خروفاً هى مثل القناع الذى يرتديه الإنسان ليعلن شعوره بأن كل الأمور على ما يرام .



والراعى أو الأنا يدرك أن هناك شيئاً ما مفقود، والخروف الضال أو الظل يمثل ذلك الشعور بالدونية *Inferiority* والكبت الناتج من الحالة الشعورية.

لذلك يخرج الراعى أو الأنا بحثاً عما هو مفقود، وبعودة الخروف الضال إلى التسعة والتسعين يتحقق التكامل والاكتمال.

وفى جهادنا لأجل الحياة الحقيقية فى المسيح، يجب أن يتعرف الشخص بإرادة حرة على الخروف الضال أى ظله، كى يستطيع أن يحيا فى كُل واحد مُنجمع متوافق *Wholeness*.

والكاهن الشرعى هو الوسيط الحقيقى لله، لابد أن يكون ذلك النمط من الناس القادر على احتمال الألم البشرى كى يستطيع أن يشفيه باسم الله وبقوة الروح القدس، وهذه الخبرة الحقيقية تهب الأب الكاهن القدرة الأساسية على مساعدة ابنائه ورعيته على اجتياز متاعبهم وحيرتهم أثناء سعيهم وجهادهم الروحى ويثبت رجاءهم وتقواهم، وفقاً لشريعة الإفراز.

فالكاهن فى الكنيسة الأرثوذكسية مدعو لأن يكون طبيباً للنفس، وأن يلاحظ ويكتشف المواقف التى يغيب عنها الحب، ولذلك يقول القديس يعقوب الرسول «أمريض أحداً بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب وصلاة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه وإن كان قد فعل خطية تغفر له» (يع ٥ : ١٣ - ١٥).

ولا يستطيع الكاهن حقاً أن يساعد الآخرين ويعينهم إلا إذا لاحظ احتياجاتهم السيكولوچية، وأهم ما يحتاجه الشخص المحتار والمضطرب لأجل الوصول إلى التكامل فى شخصيته، إلى هارمونية الإيمان والرجاء والمحبة، لذلك يقول القديس أغسطينوس «لا يخلص عن طريقك إلا الذى يحبك» وكل من يحتقر عمل الكنيسة إنما يربط نفسه بنفسه.

إن آباء الكنيسة القديسين يدعون الجميع للحياة بحسب المسيح يسوع كى يختبر الإنسان اتحاده مع نفسه ومع الله وتحدثنا كتب طقس المعمودية عن هذه الحياة الجديدة فى المسيح، وهذه المؤسسة على تعليم الكتاب المقدس «فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة» (رو٦ : ٤).

وكنيستنا الأرثوذكسية تمتلك كنزاً من الخدمة الرعوية لشعبها تقدمه لهم وصولاً وبلوغاً إلى المسيح فى المسيح، ففى عملية الاعتراف نفحص ذواتنا ونمارس نوعاً من النقد الذاتى البناء *Construtive self Crtitcism*، وهذا أمر هام وضرورى لفهم الإنسان لشخصيته حتى يستطيع أن يكتشف الدوافع الحقيقية لسلوك الظل.

ومن المتطلبات الأساسية التى ينبغى أن تتوافر فى المعترف ـ كى يستطيع توحيد قوى شخصيته وعناصرها ـ هى أن يقبل نفسه ولكنه لا يستطيع أن يفعل ذلك وحده، بل بمعونة الله والكاهن كإناء للنعمة الإلهية، وهنا يؤكد علماء النفس الأرثوذكس أنه لا تتاح لأى طبيب أو محلل أو معالج نفسى الفرصة الكافية لشفاء النفوس وإصلاح العقول مثلما تتاح للكاهن خديم سر الاعتراف وفقاً لعمل النعمة والروح الفاعل فى السر.

إن المسيحى الأرثوذكسى يعى أن الكنيسة هى الحضور المتجسد والنعموى للمسيح فى العالم، وأن الليتورچيا والأسرار هى أيقونات لتجسد ربنا يسوع المسيح، لأن الكنيسة على الأرض تقوم بعمل الروح القدس وتكمل خدمة المسيح للغفران والشفاء. ولصعود سلم الفردوس السمائى بارتقاء الألواح الروحية **κλίμαξ τον παραδεισον** .

وهكذا تقودنا الكنيسة للانفتاح ولفهم فرادة وضرورة الحياة السرائرية فى المسيح، إذ بالأسرار نتلامس مع حضور الله... فسر الاعتراف يهب للإنسان نعمة حضور الله فى الموقف البشرى.

ولايستطيع المؤمن أن ينال الغفران من الخطايا إلا بالحل الكهنوتى السرائرى الذى منحه الله لكهنته ووكلاء أسراره، والقديسون يتقدمون بالتوبة والجهاد الروحى القانونى، شاعرين بجراحاتهم، ويطلبون الكهنة من أجل الشفاء تتميمًا لوعد الله لكنيسته المقدسة المعطاه سلطان الحياة ومحاكمة الخطاة والفرز والتأديب ومعالجة الضد بالضد كما يقول الآباء، من أجل التقويم والإصلاح والمنفعة الروحية التى للبنيان، ومن ثم صناعة ثمار تليق بخلاص النفس وجعل غير المنظور منظوراً.



الأنبا موسى الأسود



الخلاصة

إن ضرورة وأهمية سر الاعتراف المقدس متأصلة فى النصوص الكتابية و فى تعليم أباء الكنيسة، وبعد مرور العديد من القرون، جاءت الدراسات السيكولوچية تكشف لنا التأثيرات العلاجية لعمليات التنفيس والنقل والتى تحدث فى سر الاعتراف.(لأنه لوكنا حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا من أحد) (١ كو ١١ : ٣١).

ففى تقليد الكنيسة وفى الكتاب المقدس تتضح أهمية ومحورية موضوعات الخطية والتوبة والاعتراف والشعور بالذنب، وقد حفظت الكنيسة الأرثوذكسية سر الاعتراف فعالاً وحياً فيها حتى الآن.

وخبرة العبادة عند المسيحيين تقدم لهم ما يذكرهم بسلطان الكنيسة كنائبة ووكيلة عن الله على الأرض، وذلك من خلال الليتورچيا، الأيقونات، والألحان، والممارسات الطقسية التى يقوم بها الأب الكاهن، وهذه جميعها تساهم فى معايشة مخافة الله والاستعداد للتوبة عن الخطية والسعى لأجل الخلاص، وهكذا، أحد أهداف وأبعاد خبرة العبادة الليتورچية هى أن تأتى بالخاطىء إلى طلب المغفرة والتحرر من الخطية.

وفى مناقشتنا للمفاهيم السيكولوچية لسر الاعتراف، لابد أن نعى وندرك **أوجه التشابه**: بين الاعتراف وبين العلاج النفسى، وفى نفس الوقت **أوجه الاختلاف**: بينهما، وفى كلتا الحالتين، يكشف الشخص الذى يعترف لأب اعترافه أو يستشير طبيباً نفسياً عن شعوره بالذنب بسبب أعماله السابقة.

وبالنسبة للمسيحيين، ينتج هذا الشعور عن فعل الخطية، أما بالنسبة للمرضى النفسيين، فيرتبط الذنب بتقييم المرء لنفسه عما إذا كان يعيش حسب توقعات الآخرين أم لا، أو أنه خدع نفسه أم لا، وفى كلتا الحالتين، أى فى الاعتراف أو العلاج النفسى، يكون المتوقع من الشخص أن يتحدث بحرية وصراحة عن الأعمال والذكريات التى يؤلمه تُذكرها، وذلك فى إطار الثقة المتبادلة التامة بينه وبين أب الاعتراف أو المعالج النفسى، وهذان الأخيران يؤديان دور السلطان بالنسبة للمعترف أو المريض، وأخيراً، النتيجة المرجوه هى التحرر من الشعور بالذنب والتوتر المصاحب له.

كى نلمس كيف يمكن للتفسيرات والمنظورات السيكولوچية أن تثرى فهمنا لسر الاعتراف، وكيف يمكن أن تكون هذه المعرفة نافعة ومفيدة للأباء الكهنة والرعاة، لفحص الأبعاد المختلفة لسر الاعتراف، والإشارة للتشابهات والاختلافات بين الاعتراف والعلاج النفسى.

ومن المفترض أن الشخص الذى يطلب أن يعترف يفعل ذلك بإرادته الحرة، إذ أن الاعتراف هو احتياج للتطهير والتنقية من الخطية ورغبة من المرء فى كشف حالته الحقيقية، وإذا لم يكن الاعتراف هكذا، فلن يؤتى بثمر، وحتى بالنسبة للعلاج النفسى، يعد ذلك متطلباً وشرطاً أساسياً للعلاج الناجح، وأب الاعتراف الحكيم هو الذى يساعد ويعين المعترف كى تنمو فيه الرغبة والإرادة أن يتكلم ويتحدث عن أفعاله الرديئة المؤلمة له، تماماً كما أن الطبيب النفسى لابد أن يجعل المريض يتكلم.

وأحد الأبعاد الهامة للغاية فى العلاقة بين المعترف وأب الاعتراف هى معرفة أب الاعتراف بمراحل التطور البشرى، وقد حدد علماء النفس سلسلة من مراحل النمو الشخصى يمر بها معظم الناس فى حياتهم، والكاهن الذى

يتمتع بمعرفة وإفراز ودراية بهذه المراحل يستطيع غالباً أن يتوقع مسبقًا أنواع القلق والمشاكل التى تصاحب كل مرحلة، ويمكن أن يستخدم ذلك ليريح هؤلاء الذين يمكن أن يشعروا بالذنب الكاذب تجاه أنفسهم، وأيضاً معرفة الضغط والتوترات التى تصاحب التغيرات الكبرى فى حياة الإنسان مثل الزواج، التقدم فى الحياة العملية، النجاح المفاجئ......، يمكن أن تساعد أب الاعتراف أن يتوقع بصورة أفضل تلك الأمور التى ستعرض عليه ويقدم لها العلاج المناسب حسب المراحل السنّية.

ودور الكاهن فى سر الاعتراف يحدد بدرجة كبيرة مدى حدوث وتقدم التأثيرات العلاجية لعمليات التنفيس والنقل كما أسلفنا، ولن تتم المفاعيل التطهيرية والتفريغية لمعرفة الشخص لحالته الساقطة فى الخطية ولاعترافه بالرغبات والشهوات والأفعال الخاطىءة، إلا إذا، كان هناك وقت كاف للنمو فى علاقة شخصية مع أب الاعتراف، وقد أثبتت البحوث والدراسات السيكولوچية بوضوح أهمية التخلص من التوترات الناتجة عن الذكريات المكبوتة أو الإحباطات المقموعة داخل الظل.

وتختلف ظاهرة النقل فى الاعتراف عنها فى العلاج النفسى، ومنذ أيام (فرويد)، أدرك المعالجون النفسيون أن المريض ربما يرتبط ارتباطًا أصيلاً بالمعالج، وهذا الارتباط يتضمن.

١) أن يقوم المريض بنقل مواقف العداء والغضب تجاه الآخرين إلى المعالج النفسى.

٢) أن يعتمد اعتماداً تاماً على المعالج فى الإرشاد والنصح.

ولا يحدث النقل فى سر الاعتراف بهذه الدرجة، وذلك لسببين :

١) أباء الاعتراف لا يصرفون نفس القدر من الوقت مع المعترفين،ولايتجهون إلى التسلل لاقتحام التفصيلات .

٢) أساس ومنطلقات سلطان أب الاعتراف تختلف عن تلك التى لإختصاصات الطبيب، فأب الاعتراف هو وكيل وممثل الله، ويخدم كمرشد وأب من خلاله يجد الإنسان المسيحى الإرشاد الذى يقوده إلى الله وينال الحل والمغفرة من الله بواسطته حسب أدوية وعلاجات خلاصية وقوانين وتداريب روحية، تتوافق مع سن وعادة وموضوع وزمان وطبع ومكان ومزاج وتحصن المعترف .

ومع ذلك، لابد أن نعى أن عملية النقل تحدث فى سر الاعتراف ويمكن أن يصل المعترفون إلى درجة من الاعتماد على آباء اعترافهم ويعطونهم سلطاناً كبيراً للغاية على حياتهم وإرشادهم، وبينما يجب أن يقبل المعترف سلطان الأب الكاهن وبالتالى سلطان الكنيسة، إلا أنه مع ذلك يظل هو المسئول أمام الله عن خطاياه وعن معرفته لها، ويحاول بعض المعترفين أن ينال من الكاهن كلمة يبرر فيها أفعاله أو أن يهرب من المسئولية الشخصية عنها، وهنا لابد أن يكون الكاهن قادراً على إعادة توجيه انتباه الشخص إلى تحمل المسئولية الشخصية عن أعماله وخطاياه، اذ أنه شاهد بين طرفين، حاملاً روح القسيسية وليس شكلها فقط .

وبسبب عملية النقل التى تتم فى الاعتراف، يكون مطلوباً من أب الاعتراف أن يؤدى دورين معاً فى وقتٍ واحد .

١) أن يكون موضع ثقة وحنون على المعترف يقدم له طاقة حب أبوية من أجل شفائه متمثلاً براعينا الحلو الذى بذل نفسه عن خرافه... يربى الصغار، يحتضن الضعفاء، يحوط على القطعان، ليقدم القطيع للراعى الأعظم كاملاً بالكمال .

٢) أن يكون وكيل الله ليحكم بتمييز ويمنح سلطان الحل «كنز الملك الثمين» الذى أعطاه مجاناً لكهنته.

ومن الأهمية بمكان أن يكون الكاهن واعياً ومدركاً لهذين الدورين، إذ يجعل الاعتراف خبرة عميقة ونافعة، خلال حساسية النفس للمحبة الإلهية الصادقة عند الأب، فمحبة الأب إن كانت من الله، تكون طاقة جاذبة تجذب النفس المتعبة والساقطة. محبة غامرة كالطبيب.

وربما تكون أكبر إسهامة تقدمها المفاهيم السيكولوچية الخاصة بالخطية والذنب، هى أنها تساعد على التمييز بين الأنماط المختلفة للذنب وعلى إيجاد السبل لمساعدة الناس على أن يكتشفوا كيف يتعاملوا مع مشاعر الذنب المختلفة، حيث أن الروح يعمل فى السوية والاعتدال، ويهب حيث يشاء.

وسواء كان الذنب نتيجة للخطية، كما نؤمن نحن، أو بسبب كبت وقمع إشباع الغرائز الأساسية، كما يرى السيكولوچيون، فإن الشعور بالذنب يحدث توترات من شأنها أن تعوق وتوقف النمو الشخصى، ويسعى المعالجون النفسيون لإحضار هذه المشاعر المكبوتة والمثقلة بالذنب إلى مستوى الشعور عند المرضى حتى يمكنهم أن يجمعوا كل خبراتهم فى شخصية كلية متكاملة، ويمكن أن يكون للاعتراف أحياناً تأثير مثيل حتى بالرغم من أن آباء الاعتراف يقضون وقت أقل فى إحضار هذه المشاعر إلى سطح الشعور الواعى.

إن نوال المغفرة والحل هما بعدين لسر الاعتراف ليس لهما ما يقابلهما فى العلاج النفسى، والإنسان المسيحى الذى يشعر حقاً أنه نال الغفران وتطهر أمام الله هو أيضاً متحرر من الشعور بالذنب الناتج عن تقصيراته وأخطائه، فترضى النفس عن ذاتها وتقبلها فى ضوء رضى المسيح وحبه العجيب وغفرانه وتستعيد حماسها الروحى، وبينما يسعى المعالج النفسى ليصل بالمريض إلى نقطة إدراكه لمسئوليته الشخصية عن أعماله وأفعاله وهو مطلب أساسى أيضاً لأجل نوال المغفرة فى الاعتراف إلا أن العلاج النفسى لا يقدم غفران الله للمعترف، ليدخل بجراءة وقدوم προσαγωγήν إلى النعمة ورجاء مجد الله .

لقد صارت المصطلحات السيكولوچية جزء من الأحاديث اليومية العادية، ووسائل الإعلام والاتصال مليئة اليوم بالمناقشات حول برامج الترقية والتأهيل والتعليم الذاتى والبرمجة العصبية والتنمية البشرية، ولذلك لابد أن يضع الآباء الكهنة اهتمامات الشعب هذه فى اعتبارهم واهتمامهم من أجل خدمة أفضل.

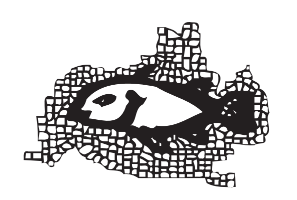
وباختصار، أن وعى الشعب المتزايد اليوم بالمصطلحات والمعرفة السيكولوچية، يحتم أن يكون قادة الكنيسة أيضاً واعين بذلك المجال بطريقة وأسلوب جديد، ويجب أن يعتبر هذا أمراً نافعاً لأن المفاهيم السيكولوچية يمكن أن تستخدم للوصول لفهم أفضل لعملية الاعتراف وبناء النفس وتأثيراته على المعترفين، وهذا لا يعنى أن تتغير طريقة الاعتراف، بل يعنى أن المسيحيين الذين يطلبون الاعتراف والغفران يمكن أن يتوقعوا تفاعلاً شخصياً مع الآباء الكهنة أعمق مما ذى قبل، وليكن معلوماً أن أخذ الاعترافات أو إعطاء المشورات هو من صميم البناء الذاتى

للإنسان، وأب الاعتراف مهما علت قامته لا يقوى أن يبنى نفساً ولكن «بانى الكل هو الله» (عب ٣ : ٤).

وهكذا ليس هناك شك فى الفائدة المرجوة من المفاهيم السيكولوچية فى تعميق فهمنا لسر الاعتراف وتحقيق الشفاء الروحى، فاستخدام الكنيسة لهذه المفاهيم يمكن أن يساعدها على تقديم قيادة فعالة لأعضائها للوصول إلى المرشد الأوحد والطبيب الحقيقى ربنا يسوع المسيح و«يكون الجميع متعلمين من الله» (يو ٦ : ٤٥).

«لقد طهرت يارب كثيرين بحللك الإلهى... وكم وكم يارب تطهر فى كل العالم بواسطة كنيستك عروسك... أنت سكبت نعمتك وطهرت رسلك وأقمت آباء الكنيسة حراس وخدام بيعتك أثناسيوس الرسولى وكيرلس الكبير وبطرس خاتم الشهداء... أعطيتهم نصيب ميراثك، أما الأسرار وسلطان الحل فهى عملك ووكالاتك، لأنه ليس فى قدرة أحد أن يعطى السمائيات إلا من عندك وبمسرتك الصالحة وفعل روحك القدوس كما أعلنت بفمك الإلهى الطاهر، وأعطيت ندى السماء ومطر النعمة للذين يأتونك تائبين معترفين مقريين بخطاياهم، فى جهاد قانونى بالتوبة... وسلطان كنيستك لايخضع لأى قوة أوناموس غريب أو تغيير، بل يجرى بمشيئتك الكاملة كما تشاء وفق تدبير إرادتك، قاسماً لكل واحد مواهبك لبنيان الجسد الكنسى كله».

الفهرس



إكثوس ΙΧΘΥΣ

السمكة فى التقليد المسيحى المبكر

هى الشعار الذى كان المسيحيون يتعرفون به على بعضهم، برسمها أو بكتابة إسمها "إكثوس ΙΧΞΥΣ ".

هذه الحروف الخمسة هى إختزال لإسم المسيح وصفته وتعنى :

"يسوع المسيح إبن الله مخلص"

يسوع	=	إيسوس	=	ΙΗΣΟΥΣ
المسيح	=	خريستوس	=	ΧΡΙΣΤΟΣ
الله	=	ثيؤ	=	ΘΗΟΥ
ابن	=	بوس	=	ΥΙΟΣ
مخلص	=	سوتير	=	ΣΩΤΗΡ

